تعاون استخباراتي مغربي - فرنسي يقوض مخططا إرهابيا لاستهداف الرباط

ص2

لا أرض أخرى

علامة على حياة مجتمع لم يستسلم أبدا

ص12

كتاب ومثقفون من تونس والمغرب يستعيدون هجرات «طائر الزهرة البرية»

ص8

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2025/06/29

04 محرم 1447

السنة 48 العدد 13529

Sunday 29/06/2025

48th Year, Issue 13529

الخلافات على مربعات الغاز تهدد باحتكاكات عسكرية في شرق المتوسط

التوترات قد تحرك أزمة أخرى لقناة السويس ومصر

القاهرة - تشير الأزمة الجديدة بين اليونان من ناحية، وتركيا وليبيا من ناحية ثانية، إلى معركة جديدة حول غاز شرق البحر المتوسط على وشك أن تندلع، وأن الصراع الذي خفت خلال الفترة الماضية ربما يتحول إلى احتكاكات عسكرية ميدانية، وليس مجرد اصطفافات سياسية، كما كان من قبل، بعد حدوث تغير في نمط العلاقات بين دول شرق المتوسط، ورغبة كل طرف في توظيف الاتفاقيات حسب مصالحه.

ويتوقع مراقبون أن يشهد شرق المتوسط نمطا مختلفا من التفاعلات، يضع حدا لسيولة منطقة الغاز الحيوية، وقد تكون لهذا النمط نتائج أمنية خطيرة، في ظل تداخل الحدود البحرية بين عدد من دولها، وغزارة في الاحتياطات الواعدة، تثير شهية قوة إقليمية ودولية تسعى لتعظيم الاستفادة، وظلت مراقبة عن كثب الفترة الماضية.

ويشير هؤلاء المراقبون إلى أن عودة السخونة إلى شرق البحر المتوسط هذه المرة، ستكون مختلفة، في زاويتي هياكل الدول وتفاعلاتها، فقد سقط نظام بشار الأسد في سوريا ولم تعد روسيا صاحب القرار في الغاز السوري وقد تتحكم تركيا في الموضوع بدلا منها. كما تم تقويض حزب االله اللبناني وأزيلت عقبة ترسيم الحدود البحرية مع إسرائيل.

> أي تصعيد سيقود إلى زعزعة استقرار هش في شرق المتوسط وتدمير طرق التجارة من قناة السويس وإليها

كما أن تطبيع العلاقات بين مصر وتركيا له تأثيرات إيجابية نسبيا على موقفها من طموحات أنقرة في شرق المتوسط، وعلى الأقل لن تقف في مواجهتها بصرامة، ما يجعل موقف القاهرة محرجا مع اليونان، على الرغم من إرسال مصر تطمينات إلى أثينا وإبداء حرص واضح على الطابع الإستراتيجي في العلاقات معها، إلى جانب قبرص، ومحاولة استرضاء الطرفين يضعف دور القاهرة في هذه الصراعات.

عوائق قانونية وسياسية تعترض عمليات التنقيب

وتكمن المشكلة في أن المخاوف من حدوث تصعيد في شرق المتوسط هذه المرة قد يؤدي إلى دخول قوى كبرى على خطه لترسيم حدود غائمة في منطقة تضعها جهات عديدة في مرمى أهدافها، وتحاول توظيف الخلافات بين بعض الدول لتتمكن من القبض على حركة سلعة ذات أهمية فائقة في العالم، بما يقود إلى تجاذبات وتوترات.

ويفضي أيّ تصعيد كبير إلى زعزعة استقرار هش في شرق المتوسط وتدمير طرق التجارة من قناة السويس وإليها، ما يضر بصادرات بعض الدول الأوروبية، ويضيف مشكلة جديدة لمصر.

وقد تجد مصر نفسها في موقف لا تحسد عليه، فبعد أن انخفضت التهديدات القادمة من جنوب البحر الأحمر بسبب استهدافات جماعة الحوثي في اليمن لسفن الملاحة التي أثرت على عائدات قناة السويس، يمكن أن تواجه تصعيدا من الشمال في شرق البحر المتوسط، يوقف حركة الملاحة أو يتسبب في حدوث بطء جديد بها، وبالتالي استمرار نزيف الخسائر في ممر قناة السويس الحيوي.

تفرض هذه المعادلة تدخلا مصريا بين اليونان وتركيا من أجل إيجاد صيغة توقف وصول الخلاف إلى نقطة الصراع العسكري، لكن المشكلة أن الحدود البحرية متداخلة مع أهداف سياسية لدى الدول الأربع المنخرطة، وهي: تركيا واليونان وقبرص وليبيا، ما يجعل الموقف أكبر من تدخل مصري للحفاظ على المصالح، فحال حدوث تصعيد قد تتسرب قوى إليه تريد إعادة رسم خارطة الغاز في العالم عبر شرق المتوسط.

والتقى وزير النفط في حكومة الوحدة الوطنية الليبية خليفة عبدالصادق مع وزير الطاقة التركي ألب أرسلان بيرقدار في طرابلس، الجمعة، وناقشا فرص الاستكشاف المشتركة البرية والبحرية، ومشاركة الشركات التركية في مشاريع تطوير وتحديث حقول الطاقة والبنية التحتية الليبية.

وتفجر التوتر بعد إعلان أثينا عن مناقصة دولية جديدة لاستكشاف الهيدروكربونات قبالة سواحل جزيرة كريت، وبمناطق تقول ليبيا إنها تابعة لمنطقتها الاقتصادية الخالصة.

وأعلنت وزارة الخارجية والتعاون الدولي بالحكومة الليبية، الخميس، استدعاء القنصل العام اليوناني في مدينة بنغازي، على خلفية تصريحات عن وزير الخارجية اليوناني جيورجوس جيرابتريتيس حول الحدود البحرية بين البلدين.

واعتبرت حكومة طرابلس والسلطة التنفيذية في بنغازي الخطوة اليونانية "أحادية الجانب" و"غير شرعية"، وتنتهك القانون البحري الدولي والحقوق السيادية للدولة الليبية، وأعقب ذلك قيام أثينا بنشر فرقاطتين وسفينة عسكرية قبالة ليبيا.

المشكلة أن الخرائط التركية – الليبية تتعارض بشكل مباشر مع الخرائط اليونانية والقبرصية، وأن ليبيا وتركيا تطبقان اتفاقية جنيف لعام 1958، بينما تشير اليونان وقبرص والاتحاد الأوروبي إلى اتفاقية جنيف لعام 1982، ما أوجد فجوة كبيرة.

ووقّعت القاهرة وأثينا اتفاقية ثنائية لترسيم حدود منطقتيهما الاقتصادية الخالصة في أغسطس 2020، ما أثار معارضة من تركيا وليبيا، على الرغم من التزام البلدين بالقانون الدولي البحري، وعدم المساس بحقوق الآخرين.

لكن الاتفاق المصري – اليوناني يتداخل جزئيًا مع مذكرة تفاهم وقّعت بين أنقرة وطرابلس عام 2019، ما أدى إلى نشوء منطقة اختصاص بحري متنازع عليها.

أحكام ضد إسلاميين في الجزائر تؤشر على عودة الصقور

الجزائر -نطقت محكمة جزائرية بعقوبات السجن النافذ في حق خلية الجبهة الإسلامية للإنقاذ المحظورة، مع إعادة التكييف من الجناية إلى الجنحة، الذي بدا أنه تخفيف من ثقل الملاحقة على البيان السياسي الذي أصدروه في خريف العام 2023، لكن دلالة الحكم توحي بالقطيعة بين السلطة وقدماء الإسلاميين، رغم الاستعانة بهم في ذروة احتجاجات الحراك الشعبي من أجل تهدئة الأوضاع، بحسب شهادة أحد المتهمين.

ومع تفاؤل أبداه مقربون من الحزب، حول إمكانية شمول عناصر المجموعة بعفو رئاسي منتظر في الخامس من يوليو بمناسبة عيد الاستقلال الوطني، لم يستبعد متابعون للشأن الجزائري أن تكون العقوبات تعبيرا عن تغير في رؤية السلطة تجاه العلاقة مع تركة الحزب المحظور، وفق قاعدة الصقور والحمائم، خاصة بعد العودة اللافتة لجهاز الاستخبارات السابق إلى مفاصل الدولة، كمديرية الأمن الداخلي التي أسندت إلى الجنرال عبدالقادر آيت أوعرابي (حسان).

وأصدرت محكمة الدار البيضاء بالجزائر العاصمة، في درجتها الابتدائية، أحكاما تتراوح بين ثلاث وأربع سنوات سجنا نافذة، في حق مجموعة ما يعرف بـ "شيوخ وإطارات" الجبهة الإسلامية للإنقاذ، على خلفية بيان سياسي أصدروه في شهر أكتوبر العام 2023، وتم تكييفه إلى تهم جزائية تتعلق ببث منشورات تهدد سلامة واستقرار البلاد، وممارسة نشاط بواسطة هيئة غير مرخص لها، وإثارة جراح المأساة الوطنية.

و"شيوخ وإطارات الجبهة الإسلامية للإنقاذ"، هي هيئة يديرها قياديون سابقون في الحزب المحظور، وتنسب نفسها إليه، سبق لها أن سجلت حضورها في الشأن العام عبر عدد من البيانات والتصريحات السياسية، قبل أن تصدر بيانا في خريف العام 2023، عبّرت فيه عن موقفها من الوضع السياسي والحقوقي القائم في البلاد، وحضت على الحوار الشامل وإطلاق سراح المساجين السياسيين، لاسيما ما يعرف بـ"سجناء التسعينات."

وأثار محامون وحقوقيون عدة استفهامات قانونية حول الخلفيات الحقيقية لمكوث المجموعة المكونة من 18+1، مدة 21 شهرا في الحبس المؤقت دون برمجة ملفهم على المحاكمة إلى غاية الأسبوع الجاري، بينما يجري تسريع وتيرة بعض المحاكمات الأخرى، لاسيما وأن الضبطية القضائية أنهت تحقيقاتها في الأشهر القليلة التي تلت عملية التوقيف، بينما لم تبق لقاضي التحقيق إلا إجراءات شكلية بسيطة.

وتتشكل الهيئة من عدة قيادات سابقة في الحزب المذكور، على غرار أحمد الزاوي، وعلي بن حجر ويوسف بوبراس، والأخيران قياديان سابقان فيما كان يعرف بـ "الجيش الإسلامي للإنقاذ"، الذي كان يمثل الذراع العسكرية لجبهة الإنقاذ أثناء العشرية الدموية (1990 – 2000).

> رغم حل الحزب ظلت بعض قياداته حاضرة في المناسبات كتنسيقية الانتقال الديمقراطي أو قنوات الاتصال مع السلطة

ورغم أن القضاء أعاد تكييف التهم الموجهة للمجموعة من الطابع الجنائي المندرج في ما يعرف بـ "البند 87 مكرر"، الصادر العام 2021، والذي أعاد صياغة معالجة الجريمة الإرهابية، لتشمل أنشطة جديدة كالعمل السياسي خارج الدستور، إلى طابع جزائي تكون عقوباته مخففة، إلا أن الأحكام الصادرة بالسجن النافذ في حق هؤلاء، تعتبر قطيعة بين السلطة وبين إسلاميي جبهة الإنقاذ.

وأفاد شاهد عيان بأن القيادي أحمد الزاوي، الحاصل على الجنسية النيوزلندية، ذكر للقاضي، بأن "الذي اتصل بنا هو الذي يسجننا،" ويقصد بذلك المصدر الرسمي في رئاسة الجمهورية الذي كان على تواصل مع المجموعة في 2019 و2020، ويحضهم على إصدار بيانات تهدئة لتطويق احتجاجات الحراك الشعبي آنذاك، والتعبير عن دعم السلطة الجديدة في البلاد.

ومنذ إعلان الجيش الإسلامي للإنقاذ عن حل نفسه في 1997، والانخراط في مسار حوار مع السلطة، ممثلة حينها في قيادة المؤسسة العسكرية وضباط جهاز الاستخبارات، فتحت قنوات اتصال بين الجناح وبين السلطة، وتم استقبال قائده مدني مزراق، بوصفه "شخصية وطنية" من طرف رئيس الحكومة السابق المسجون أحمد أويحيى، العام 2014، في إطار ما عرف آنذاك بالمشاورات السياسية حول تعديل الدستور.

سوريا تبطل اتفاقا مع روسيا حول استغلال مرفأ طرطوس: اتفاق مجحف

دمشق - قالت تقارير إعلامية سورية إن الحكومة السورية نجحت في إبطال اتفاق بين حكومة الرئيس السابق بشار الأسد وشركة ستروي ترانس غاز الروسية (STG) لإدارة مرفأ طرسوس، وعللت الحكومة التراجع عن الاتفاق بأنه مجحف وأن الشركة الروسية لم تنفذ التزاماتها وفق ما نص عليه الاتفاق الذي تم في 2019.

وتأتي هذه الخطوة في سياق تخفيف النفوذ الروسي المباشر في سوريا عبر أدوات قانونية ودون صدام مع موسكو المنشغلة بدورها بحرب أوكرانيا بشكل يجعلها تقبل سحب البساط من تحت أرجلها دون ردة فعل قوية.

وتفسح هذه الخطوة القانونية، التي تمت بالتعاون مع محامين محليين وشركة محاماة أوروبية مختصة في القانون الدولي العام، لتنفيذ الاتفاق بين الحكومة السورية الحالية وموانئ دبي بشأن إدارة المرفأ في مايو الماضي.

وقللت الحكومة السورية، وفق بيان لها، إلغاء الاتفاق مع الشركة الروسية بعد معطيات منها ما وصفته بـ"خرق جوهري لبنود الاتفاقية".

وقالت دمشق إن الشركة الروسية لم تنفذ ما تعهدت به، بما في ذلك استثمار مبلغ 500 مليون دولار كان مخصصا لتحديث البنية التحتية في المرفأ. كما تجاهلت صيانة الآليات.

ومن مبررات الإلغاء كذلك "اختلال التوازن في بنود العقد،" حيث وصف البيان الاتفاق الحكومي بـ"المجحف بحق السيادة السورية،" مشيراً إلى أن الشركة الروسية كانت تحصل على 65 في المئة من العائدات مقابل 35 في المئة فقط للطرف السوري، تضاف إلى ذلك السيطرة على مجلس الإدارة.

وأضاف البيان الحكومي عنصرا آخر داعما لقرار الإلغاء، وهو "غياب التنفيذ الفعلي" للالتزامات الروسية، حيث لم يتم تحديث البنى التحتية، وكذلك لم يتم تعهد الآلات بالصيانة، فضلا عن سيطرة الروتين والبيروقراطية على المرفأ ما يعرقل الاستفادة من الاتفاق بالنسبة إلى سوريا.

ويُعد ميناء طرطوس، أحد أكبر الموانئ السورية، ركيزة حيوية لإعادة إحياء التجارة البحرية، خاصة مع موقعه الإستراتيجي على البحر المتوسط عبر تصدير المنتجات الزراعية والنفطية والحبوب وغيرها من السلع.

وتمتلك سوريا في شريطها الساحلي الممتد من الحدود التركية شمالا حتى لبنان جنوبا بطول 65 كيلومترا خمسة موانئ أكبرها اللاذقية ثم طرطوس وجبلة وبانياس وأرواد التي تعمل بنظام التشغيل المباشر من إدارة تابعة لهيئة المنافذ البرية والبحرية.

وفي مايو الماضي، أرست سوريا مشروع تطوير ميناء طرطوس، على مجموعة موانئ دبي العالمية، في خطوة إستراتيجية تهدف إلى تعزيز البنية التحتية للموانئ واللوجستيات بعد اتفاق مع عملاق الشحن الفرنسي سي.أم.أي – سي.جي.أم لتطوير ميناء اللاذقية.

> الخطوة القانونية تفسح المجال لتنفيذ اتفاق مايو 2025 بين الحكومة السورية وموانئ دبي بشأن الاستثمار في المرفأ وإعادة تطويره

ووقّعت الهيئة العامة للمنافذ البحرية والبرية مذكرة تفاهم بقيمة 800 مليون دولار مع موانئ دبي، ستقوم بموجبها المجموعة الإماراتية بتطوير وتشغيل محطة حاويات متعددة الأغراض في ميناء طرطوس.

وتتضمن المذكرة "استثمارا شاملا في تطوير وإدارة وتشغيل محطة متعددة الأغراض في ميناء طرطوس، بهدف رفع كفاءة الميناء وزيادة طاقته التشغيلية."

كما اتفق الطرفان على التعاون في تأسيس مناطق صناعية ومناطق حرة، إضافة إلى موانئ جافة ومحطات عبور للبضائع في عدد من المناطق الإستراتيجية داخل سوريا.

وفي أبريل 2019، أعلن نائب رئيس الوزراء الروسي يوري بوريسوف، بعد اجتماع مع الأسد في دمشق، بأن ميناء طرطوس سيتم تأجيره إلى روسيا لمدة 49 عاما للنقل والاستخدام الاقتصادي.

وقال بوريسوف "إن القضية الرئيسية التي يجب أن تعطي ديناميكية إيجابية هي استخدام ميناء طرطوس. لقد جمعت الزيارة جميع هذه الاتفاقات. لقد تقدمنا بشكل جيد للغاية في هذا الأمر ونأمل أن يتم توقيع العقد خلال أسبوع، ولمدة 49 عاما سوف يبدأ تشغيل ميناء طرطوس أمام العمليات التجارية الروسية."

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

تعاون استخباراتي مغربي - فرنسي يُقوض مخططا إرهابيا لاستهداف الرباط

اعتقال طالبة كانت بصدد الإعداد لهجوم إرهابي على منشأة دينية

أسفر تعاون أمني بين الرباط وباريس إلى إحباط مخطط إرهابي كان يستهدف العاصمة المغربية، حيث تم توقيف طالبة تبلغ من العمر 21 سنة، موالية لتنظيم "داعش"، وذلك في عملية أمنية استباقية جرت مساء الجمعة الماضي.

محمد ماموني العلوي

الرباط - مكّن تعاون أمني بين المغرب وفرنسا من إحباط مخطط إرهابي لاستهداف منشأة دينية في الرباط، في عملية استباقية تم خلالها اعتقال طالبة موالية لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وهو ما يعتبره المراقبون مؤشرا جديا على اليقظة الأمنية العالية في التصدي لمخاطر الإرهاب.

وأعلن المكتب المركزي للأبحاث القضائية، التابع للمديرية العامة لمراقبة التراب الوطني في المغرب، في إطار تعاون عملياتي وتنسيق معلوماتي مع الأجهزة الاستخباراتية الفرنسية، عن توقيف طالبة تبلغ من العمر 21 سنة، موالية لتنظيم "داعش"، كانت بصدد الإعداد لمخطط إرهابي خطير يستهدف منشأة دينية في مدينة الرباط، وذلك في عملية أمنية استباقية جرت مساء الجمعة 28 يونيو الجاري.

هشام معتضد

الخطوة الاستباقية تعكس مستوى الشراكة بين البلدين

ووفق بلاغ رسمي صادر عن المكتب، فإن هذه العملية نُفذت بناء على معلومات استخباراتية دقيقة وفّرتها المديرية العامة لمراقبة التراب الوطني، حيث تم تحديد هوية المشتبه فيها التي تتابع دراستها في أحد المعاهد التقنية العليا، ورصد تحركاتها المتطرفة بعدما انخرطت فعليا في مراحل متقدمة من الإعداد لمشاريع إرهابية، وتم إحباط المشروع قبل بلوغه مرحلة التنفيذ بعدما اكتسبت مهارات في تصنيع المتفجرات وإعداد السموم القاتلة، وبدأت في جمع المعدات الضرورية لتنفيذ عملية إرهابية.

وخلال عملية التفتيش التي أجريت بمنزل المعنية بالأمر، تم حجز مواد قابلة للاشتعال، ومخطوطات تحرّض على التطرف والعنف، بالإضافة إلى كتب تروّج لأفكار التعصب والتكفير، ما يؤكد الطابع الأيديولوجي العنيف للمشروع الإرهابي.

شراكة إستراتيجية مثمرة

وتُبرز هذه العملية الأمنية المشتركة، بحسب البيان، نجاعة التعاون الثنائي الوثيق بين مصالح المديرية العامة لمراقبة التراب الوطني ونظيرتها الفرنسية، وهو تعاون مكّن في أكثر من مناسبة من إحباط محاولات إرهابية كانت تستهدف أرواح المواطنين وسلامة المؤسسات الوطنية.

وأفاد هشام معتضد، الخبير في الشؤون الإستراتيجية، في تصريح لـ"العرب" أن "هذه الخطوة الاستباقية تعكس مستوى الشراكة الجديدة بين باريس والرباط، من خلال التعاون في قضايا الأمن ومجال الاستخبارات باعتباره عنصرا محوريا يمكّن البلدين من دعم الاستقرار الإقليمي في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد أصبحت القضايا الأمنية، مثل مكافحة الإرهاب والهجرة غير النظامية، من التحديات المشتركة التي تؤثر على المغرب وفرنسا."

ووصف وزير العدل الفرنسي جيرالد دارمانان، في آخر زيارة له إلى المغرب، التعاون الثنائي في هذا المجال بـ"الممتاز"، مشيدا بالعمل "الاستثنائي" الذي يقوم به المغرب في مجال تبادل المعلومات والاستخبارات من أجل التصدي للتطرف على نحو أفضل، والعمل سويا لتلافي الهجمات التي من شأنها أن تطال المغرب أو فرنسا، مشددا على أهمية الحفاظ على هذا التعاون في مجال تبادل المعلومات الذي "يسمح لنا بتجنب المآسي سواء في فرنسا أو في المغرب."

وفي سياق التعاون الثنائي أوضح بلاغ لقطب المديرية العامة للأمن الوطني والمديرية العامة لمراقبة التراب الوطني، أن "أهمية هذا المخطط المشترك، تكمن في كونه يسمح بمأسسة آليات التعاون المتميز القائم منذ عقود بين مصالح الأمن المغربية والفرنسية، ويدفع كذلك في اتجاه تطوير وتوسيع مجالات هذا التعاون، لتشمل إمكانية خلق مجموعات عمل مشتركة لمواجهة مختلف التحديات المرتبطة بالجريمة المنظمة، بما في ذلك تعقب الأشخاص في حالة فرار والمبحوث عنهم دوليا."

من جهته شدد خالد شيات أستاذ العلاقات الدولية في تصريح لـ"العرب" على أن "التعاون المغربي – الفرنسي في مجال مكافحة الإرهاب مسألة أساسية في هذه العلاقات والتي يمكن توسيعها إلى المجال الأوروبي كاملا، مركزا على أن تحويلها إلى مجالات ذات طبيعة تربوية وتعليمية يبقى مسألة أهم، لأننا نتحدث عن منبع هذه الأفكار المتطرفة التي تتحول إلى شكل من أشكال الإرهاب العنيف، لأن الممارسات العنيفة تنهل من الأفكار ذات الطبيعة المتطرفة."

وفي ظل تعزيز المساعدة المتبادلة بين الطرفين لضمان أعلى مستويات الجاهزية لتحييد مختلف المخاطر والتهديدات الأمنية والمخاطر المحدقة بأمن البلدين، أكد الجانب الفرنسي على أن منح عبداللطيف حموشي أسمى الأوسمة الفرنسية، هو اعتراف وتأكيد على الدور الريادي الذي تضطلع به مصالح الأمن الوطني بالمملكة المغربية في الجهود الدولية المبذولة لمكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة، وهو أيضا إشهاد على نجاعة وفاعلية المساعدة الأمنية المتبادلة بين البلدين بما يدعم ويخدم قضايا الأمن المشترك.

وتؤكد هذه العملية مرة أخرى، حسب المكتب المركزي للأبحاث القضائية، على الأهمية البالغة للجهود الأمنية الاستباقية في مواجهة التهديدات الإرهابية، خصوصا في ظل استمرار محاولات التنظيمات المتطرفة استهداف أمن واستقرار المملكة المغربية، من خلال استغلال شبكات التجنيد الإلكتروني والتغرير بالشباب.

وتم وضع المشتبه فيها تحت الحراسة النظرية، بتعليمات من النيابة العامة المكلفة بقضايا الإرهاب، في انتظار تعميق البحث للكشف عن الجهة التي قامت باستقطابها وتجنيدها، وتحديد طبيعة الارتباطات المحتملة التي قد تكون تجمعها بتنظيمات إرهابية دولية أو إقليمية.

ويُنتظر أن يُسفر التحقيق الجاري عن معطيات إضافية بشأن طبيعة المخطط الإرهابي الذي كانت المشتبه فيها تُعد له، وسُبل الدعم الذي تلقته في مراحل التخطيط، وهو ما يُسلّط الضوء مجددا على ضرورة رفع مستوى اليقظة في مواجهة خطر التشدد داخل الأوساط التعليمية والشبابية.

وفي مايو الماضي، تمكنت الأجهزة الأمنية المشتركة من تفكيك مخطط إرهابي، كان يقوده جندي فرنسي سابق تحول إلى متطرف خطير، ويتعلق الأمر بالمدعو مانويل ب، البالغ من العمر 41 عامًا، والذي كان يستعد للانضمام إلى كتيبة جهادية متشددة تنشط في سوريا، حيث يُعتبر محركًا لخلايا متطرفة محلية ويشرف على تدريبات شبه عسكرية.

تمويل سعودي لمشروعات بنية تحتية في تونس بـ38 مليون دولار

الرياض - منحت السعودية قرضا تنمويا بقيمة تتجاوز 38 مليون دولار إلى تونس، من أجل تمويل تنفيذ مشروعات ذات علاقة بالبنية التحتية.

وتعكس هذه الخطوة، مواصلة المملكة العربية السعودية مراهنتها على تونس كشريك إستراتيجي.

وذكرت وكالة الأنباء السعودية "واس" السبت، أن الرئيس التنفيذي للصندوق السعودي للتنمية سلطان المرشد وقّع مع وزير الاقتصاد والتخطيط التونسي سمير عبدالحفيظ اتفاقية القرض التنموي لتمويل مشروع إنشاء قطب واحيّ بالجنوب التونسي، وبذلك تجسد هذه الاتفاقية الشراكة التنموية الثنائية التي تمتد لحوالي 50 عاما.

والمشروع الذي حظي بتمويل سعودي يتجاوز 38 مليون دولار يستصلح الأراضي الزراعية في مختلف المناطق التونسية بمساحة تتجاوز ألف هكتار، كما يحفر ويجهز 22 بئرا، كما يوسع القرى ومرافقها.

وينشئ في الوقت ذاته أكثر من 285 مسكنا للمستفيدين، وتعزيز البنية التحتية في مختلف المناطق عبر إنشاء الطرق، وخطوط أنابيب وشبكات ضخ وتوزيع المياه الصالحة للشرب والري الزراعي، والمرافق الحيوية التي تعزز الإنتاج الزراعي، فضلا عن المرافق التعليمية والمراكز الثقافية والاجتماعية والتجارية، ما يعزز النمو والازدهار الاجتماعي والاقتصادي في مختلف مناطق تونس.

تونس تأتي في المرتبة 15 كشريك تجاري للسعودية، بحجم مبادلات تجارية سنوية يصل إلى 310 ملايين دولار

وتأتي هذه الاتفاقية في إطار نشاط الصندوق السعودي للتنمية للإسهام في تعزيز الفرص التنموية والحيوية في تونس، من خلال تمويل مشروعات وبرامج تنموية مستدامة لدعم البنية التحتية، وتحسين مستوى المعيشة، وتعزيز النمو الاقتصادي، نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة والركائز الرئيسة في المسيرة الإنمائية.

وبدأ نشاط الصندوق السعودي للتنمية في تونس منذ عام 1975، إذ قدم على مدى خمسة عقود التمويل لتنفيذ 32 مشروعا وبرنامجا إنمائيا من خلال قروض تنموية ميسرة تتجاوز قيمتها 1.2 مليار دولار، إضافة إلى المنح المقدمة من المملكة من خلال الصندوق بقيمة تصل إلى أكثر من 105 ملايين دولار.

وتستثمر الشركات السعودية حاليا في قرابة 38 مشروعا تشمل فندقا ومنتجعات سياحية خاصة في منطقة البحيرة شمال العاصمة بقيمة مالية تقدر بنحو 400 مليون دولار.

واكتسبت العلاقات الاقتصادية بين البلدين زخما إضافيا الأسبوع الماضي بعد دخولهما في شراكة جديدة لتعزيز التعاون في مجال النقل البحري، في ظل تأكيد البلدين على عزمهما تذليل كافة العقبات أمام حركة التبادل التجاري بينهما. وأبرم ديوان البحرية التجارية والموانئ التونسية في تونس مذكرة تفاهم مع شركة محطة بوابة البحر الأحمر الدولية السعودية لتطوير الشراكات في النقل البحري.

وخصص بنك التصدير والاستيراد السعودي حوالي 200 مليون دولار لتمويل واردات تونسية من المشتقات النفطية السعودية.

وتأتي تونس في المرتبة 15 كشريك تجاري للسعودية في المنطقة العربية، بحجم مبادلات تجارية سنوية يصل في المتوسط إلى 310 ملايين دولار، وفق بيانات رسمية.

وفي 27 ديسمبر 2023، وقّعت تونس والسعودية 7 مذكرات تعاون في مجالات اقتصادية مختلفة، بينها الصناعة والسياحة والمناخ، ضمن مساعي تعزيز علاقات التعاون المشترك.

وبالموازاة مع التعاون الاقتصادي، تزايد منسوب الاهتمام السعودي بالاستثمار في تونس بعد إجراءات الرئيس قيس سعيد في 25 يوليو 2021، وشمل ذلك الاهتمام خصوصا القطاع الصحي خصوصا في الجهات الداخلية بتونس.

الانحياز لسلطات طرابلس يضع البعثة الأممية في مرمى انتقادات شرق ليبيا

الحبيب الأسود

تواجه العلاقة بين بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا والشارع السياسي المحلي حالة من توتر المواقف وتشنج الخطاب في ظل اتساع دائرة الخلاف حول واقع وآفاق الأزمة التي تعاني منها البلاد منذ 14 عاما وما يمكن أن تشهده الفترة القادمة من مبادرات لتجاوز النفق والبحث عن خطة تقود نحو الحل الشامل لأبعاد الصراع .

ورد فاعلون سياسيون أزمة البعثة إلى انحيازها إلى سلطات طرابلس وحكومة عبدالحميد الدبيبة المنتهية ولايتها المتهمة بتجاوز الإطار القانوني المتفق عليه من قبل مؤتمر تونس للحوار السياسي في نوفمبر 2020، وعرقلة مشاريع الحل السياسي بما في ذلك انتخابات الرابع والعشرين من ديسمبر 2021.

وحاولت البعثة الدفاع عن نفسها، وقالت في بيان، إنها تتابع بقلق التصريحات التحريضية التي صدرت عن بعض الشخصيات السياسية، والتي شجعت على ارتكاب أفعال غير قانونية ضد موظفيها ومقراتها، محذّرة من محاولات تقويض مسار العملية السياسية.

وأكدت احترامها الكامل وغير المشروط لحق السكان المحليين في التظاهر السلمي والتعبير عن الرأي، واعتبرت أن التواصل المباشر مع الشعب الليبي هو حجر الزاوية في عملها، مشيرة إلى أنها دأبت على استقبال المتظاهرين والاستماع إلى مطالبهم في مختلف الوقفات السابقة، وأنها استقبلت، الثلاثاء الماضي، ممثلين عن عدد من المتظاهرين في مقرها بطرابلس، وأجرت معهم نقاشا مفتوحًا قائمًا على الاحترام المتبادل.

وأعربت البعثة عن استيائها ممّا وصفتها بحملات التحريض والشائعات التي تستهدفها، معتبرة أن هذه الخطابات قد تعرقل الجهود الأممية نحو إطلاق عملية سياسية تؤدي إلى الانتخابات وتوحيد المؤسسات وتحقيق الاستقرار.

كما شددت على أهمية الحفاظ على الطابع السلمي لأيّ تظاهرات، والامتناع عن أيّ أعمال خارجة عن القانون، ودعت إلى حل الخلافات عبر الحوار البناء، مذكّرة باتفاقية عام 1946 بشأن امتيازات وحصانات الأمم المتحدة، والاتفاق المبرم مع السلطات الليبية، والذي ينص على احترام حرمة مقار الأمم المتحدة وموظفيها وممتلكاتها، مردفة أنها ستواصل مراقبة التطورات عن كثب.

في المقابل، أعلنت الحكومة المنبثقة عن مجلس النواب عن رفضها الشديد لما ورد في بيان البعثة الأممية، متهمةً إياها بالتحريف المتعمد لمطالب المتظاهرين السلميين، ومحاولة تضليل الرأي العام الدولي من خلال تصوير غير دقيق لحقيقة الأوضاع في البلاد.

وأكدت الحكومة التي تتخذ من بنغازي مقرا لها، أن ما تشهده الساحة الليبية من احتجاجات هو تعبير شعبي طبيعي عن الاستياء المتزايد تجاه أداء البعثة، التي قالت إنها فشلت خلال أكثر من عقد في تحقيق أيّ تقدم ملموس، بل وأسهمت في تعقيد الأزمة من خلال دعم ترتيبات هشة ومسارات غير واقعية، وفق نص البيان.

وحذّرت الحكومة من "تجاوزات البعثة الأممية التي تمس أمن الدولة وسيادتها،" مشيرة إلى تدخلات اعتبرتها "صريحة في الشأن الداخلي الليبي، في تجاوز واضح لمهام البعثة المحددة،" داعية البعثة إلى الالتزام بولايتها الأممية، والابتعاد عن الانحياز والتدخل، والعمل بمهنية وحياد بما يحترم السيادة الليبية ويلبّي تطلعات شعبها.

وأكد رئيس الحكومة المنبثقة عن البرلمان أسامة حماد على أن تحركات البعثات الدولية والدبلوماسيين داخل الأراضي الليبية تخضع حصرًا للقوانين الوطنية، ولا يُسمح بأيّ نشاط خارج إطار التنسيق مع الجهات الرسمية.

وشدد السبت في كلمة ألقاها خلال حفل تخريج الدفعة الرابعة من المعهد العالي لضباط الشرطة في بنغازي، على أن استغلال الغطاء الأممي أو الصفة الدبلوماسية لتنفيذ لقاءات أو أنشطة دون إذن مسبق من وزارة الخارجية يمثل تجاوزًا مرفوضًا للسيادة الوطنية، موضحًا أن الحكومة لن تتهاون مع هذه الممارسات وستتخذ إجراءات قانونية صارمة ضد المخالفين، مهما كانت صفاتهم أو انتماءاتهم.

البعثة الأممية للدعم في ليبيا شددت على الحفاظ على الطابع السلمي والامتناع عن أي أعمال خارجة عن القانون

وأضاف حماد "نؤكد أن دخول أو تنقل أو تجوّل أعضاء البعثات الدبلوماسية وممثلي المنظمات الإقليمية والدولية والأهلية يتم فقط بموافقة صريحة من الجهات الليبية المختصة، وفي مقدمتها وزارة الخارجية،" لافتا إلى أن هذه الإجراءات تستند إلى التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية المعمول بها، وعلى رأسها اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، التي تُلزم الدبلوماسيين باحترام قوانين الدولة المضيفة وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

ووجّه حماد دعوة مباشرة إلى الأجهزة الأمنية والشرطية المختصة لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة لمنع أيّ خروقات، مؤكدًا أن الحفاظ على سيادة الدولة واستقلال قرارها هو أولوية وطنية لا تقبل التهاون.

وفي السياق ذاته، أعلن 70 عضوًا بمجلس النواب عن رفضهم لما وصفوه بانحراف مسار البعثة الأممية، مطالبين بإصلاح نهجها في إدارة العملية السياسية داخل ليبيا، وذلك في أعقاب إحاطة المبعوثة الأممية حنّا تيتيه أمام مجلس الأمن الثلاثاء الماضي، وأكدوا في بيان رفض أيّ مسارات سياسية أو تفاهمات تُهندس خارج الإرادة الليبية أو تُعقد في غرف مغلقة، داعين الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش إلى إعادة تقييم أداء البعثة، ووقف ما وصفوه باستخدام ليبيا كساحة تجريبية لمقاربات فاشلة.

وبحسب مراقبين، فإن الأزمة بين البعثة الأممية والأطراف السياسية في المنطقة الشرقية تتجه نحو المزيد من التصعيد بالتزامن مع استمرار الاحتجاجات أمام مقر البعثة بالعاصمة طرابلس، وذلك بسبب غياب التوافق حول خارطة الطريق التي ينتظر أن يتم الإعلان عنها في أغسطس القادم انطلاقا من مخرجات اللجنة الاستشارية.

تيتيه أمام أزمة متشعبة في ليبيا

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

سريان العقوبات الأميركية يضعف خطط حكومة إدريس

البرهان يوافق على هدنة إنسانية بالفاشر لتقزيم الأثر السياسي للعقوبات

خيارات محدودة أم حكومة الجيش

قائد الجيش السوداني عبدالفتاح البرهان يسعى للمناورة بهدف إظهار تجاوبه مع المجتمع المدني عبر إعلان القبول بهدنة إنسانية في الفاشر، والهدف الإيحاء بأنه يستجيب لدعوات الحوار وتحييد المدنيين، لكن سياسته على الأرض غير ذلك.

الخرطوم - دخلت العقوبات التي فرضتها الإدارة الأميركية على السودان إثر اتهامه باستخدام أسلحة كيميائية حيز التنفيذ، الجمعة، في وقت يحاول فيه قائد الجيش الفريق أول عبدالفتاح البرهان الظهور أمام المجتمع الدولي بصورة مغايرة، مع إقدامه على تعيين رئيس الوزراء كامل إدريس، ويحمل صبغة مدنية وله علاقات بمنظمات دولية، وتهيئة الأجواء أمام قبول التعامل معه على نطاق واسع إقليميا ودوليا.

وسعى البرهان لتقليل أثر العقوبات وتأكيد تجاوبه مع المجتمع الدولي بإعلانه، الجمعة، القبول بهدنة إنسانية في مدينة الفاشر، عاصمة إقليم شمال دارفور، والتي تدور فيها معارك بين الجيش وحركات مسلحة متحالفة معه، وقوات الدعم السريع، تسبّبت في حدوث انتهاكات إنسانية، وضاعفت من صعوبة وصول المساعدات.

وفرضت الولايات المتحدة في مايو الماضي عقوبات تضمنت فرض قيود على الصادرات الأميركية، وعلى الوصول إلى خطوط الائتمان، وإنهاء المساعدات غير الإنسانية، ووقف مبيعات الأسلحة وتمويلها، وحرمان السودان من أيّ قروض أو دعم مالي حكومي أميركي، وحظر تصدير السلع والتكنولوجيا الحساسة للأمن القومي.

وتواجه عملية تشكيل الحكومة الجديدة انتقادات من قبل حركات مسلحة بسبب توزيع المناصب، ما يضعها أمام مشكلات أكبر عقب دخول العقوبات حيز التنفيذ، حيث ستجد صعوبات على مستوى التحركات الدولية، وتظل صورتها قاتمة منذ أن جرى توقيع عقوبات مماثلة في ثمانينات القرن الماضي.

ويسعى الجيش السوداني من وراء تشكيل حكومة مدنية أن يخفف من الانتقادات الموجهة إليه بالاستحواذ على السلطة، وكان من المفترض أن تكسب وزارة كامل إدريس ثقة جهات مدنية تمنحها شرعية دولية تتحرك في إطارها، غير أن ما حدث أنها تواجه اعتراضات من مكونات عديدة، إلى جانب تأثرها بالعقوبات الأميركية.

وقد يكون بدء سريان العقوبات دافعا نحو تمدد الأنشطة غير المشروعة لتعويض أيّ قروض أو تمويلات خارجية تأتي من جهات أميركية أو قريبة منها، وتبقى البلاد في وضعية تتيح انتشار التنظيمات المتطرفة وجماعات التهريب، ما يقود إلى المزيد من زعزعة الأوضاع في السودان والدول المجاورة له، وهو ما كان مثار نقاشات في جلسة عقدها مجلس الأمن لمناقشة الأزمة السودانية، الجمعة.

وأجرى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، الجمعة، اتصالا برئيس مجلس السيادة السوداني الفريق أول عبدالفتاح البرهان، عبّر فيه عن ترحيبه بتعيين كامل إدريس رئيساً للوزراء، ودعا في الوقت ذاته لإعلان هدنة إنسانية لمدة أسبوع في محلية الفاشر دعما لجهود الأمم المتحدة وتسهيل وصول الإغاثة للآلاف من المواطنين المحاصرين هناك، وهو ما وافق عليه البرهان.

وقال المحلل السياسي السوداني عبدالواحد إبراهيم إن العقوبات الأميركية تضعف خطط قائد الجيش بتسويق الحكومة الجديدة أمام المجتمع الدولي، خاصة وأنه أقدم على اختيار إدريس نظرا لعلاقاته الخارجية كجزء من المنظمات الدولية التي تتمتع بعلاقات جيدة مع حكومات غربية عدة.

> العقوبات الأميركية كان تأثيرها كبيرا غير أن قدرة الجيش على تنويع مصادر التمويل جعلته لا يتأثر مثل قوات الدعم السريع

وأضاف في تصريح لـ"العرب" أن سريان العقوبات يساهم في خلق صعوبات اقتصادية تنعكس سلبا على الأوضاع المعيشية المتردية بفعل الحرب، ولا توجد فرصة لتنمية أو استثمارات أجنبية وسوف تتراجع التحويلات المالية على مستوى الدول والأفراد، ويقود ذلك إلى فقدان العملة المحلية المزيد من قيمتها ما يعرض الاقتصاد لانهيار أكبر، ولذلك تأثير قاتم على قدرة الجيش على استعادة مناطق جغرافية فقد السيطرة عليها خلال الحرب لصالح الدعم السريع.

وأشار إلى أن خطر العقوبات يكمن في تحولها على إلى مقدمة لعقوبات أشمل تصل إلى قطيعة مع السودان، وليس مستبعدا أن تصل حد توقيع عقوبات مع الجهات المتعاونة مع الحكومة، تحديدا ما يتعلق بصفقات السلاح العسكرية، كما تؤدي إلى انكماش في علاقات السودان ببعض الدول الفاعلة.

ويؤكد متابعون أن العقوبات الأميركية، ركزت على البعد الشخصي لطرفي الصراع وكان تأثيرها كبيرا مع حظر استخدام أرصدة مالية، غير أن قدرة الجيش على تنويع مصادر التمويل جعلته لا يتأثر مثل الدعم السريع، ويمكن أن يكون ذلك دافعا نحو فرض عقوبات شاملة على الحكومة.

وكانت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأميركية تامي بروس قد أعلنت في مايو الماضي أن بلادها خلصت إلى أن السودان استخدم أسلحة كيميائية عام 2024، وتعتزم فرض عقوبات عليه بعد إخطار الكونغرس بمدة 15 يوما.

وأدرج الموقع الرسمي "للسجل الاتحادي" الأميركي إخطاراً عاماً بشأن سريان العقوبات، صباح الخميس، تحت تصنيف (غير منشور) وتاريخ نشره الجمعة، وقال إن حكومة السودان انتهكت القانون الدولي باستخدام هذه الأسلحة، بموجب المادة 306 (أ) من قانون مكافحة الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والقضاء على الحرب.

وذكر أستاذ العلوم السياسية بجامعة أفريقيا العالمية محمد خليفة صديق أن التحفظ الكبير على حيثيات فرض عقوبات على السودان بسبب استخدام أسلحة كيميائية دون تقديم دليل سيجعل أثرها الدولي ضعيفا، وكان من المفترض وجود تأثير على البيئة المحيطة للسودان، كما أن قوات الدعم السريع لم تتهم في السابق الجيش باستخدام هذه الأسلحة.

وأوضح لـ"العرب" أن السودان تأثر بالعقوبات منذ ثمانينات القرن الماضي، لكن من تضرّروا بشكل أكبر هم المواطنون وليس النظام، ويظل التأثير على مستوى دخول سلع بعينها واختلال الميزان التجاري بين السودان والولايات المتحدة، باستثناء الصمغ العربي الذي يتم استثناؤه لدخول في صناعة المشروبات الغازية الأميركية، كما أن تراجع العلاقات التجارية بين واشنطن والخرطوم يجعل أثر العقوبات محدودا.

وأكد أن العقوبات التي تتضمن وقف الحصول على قروض للحكومة السودانية تأتي في وقت أوقفت فيه المنظمة الأميركية لدعم دول العالم الثالث المعونات المقدمة بقرار من الرئيس دونالد ترامب، ما يجعل النتيجة تأخذ جانبا معنويا يتعلق بصورة السودان وحكومته الجديدة، والتأثير الأكثر فاعلية لوقف الحرب يجب أن يكون على مستوى حظر وصول السلاح للطرفين المتصارعين، ما يفضي إلى نقطة تجبرهما على التفاوض.

ونفى السودان استخدام أسلحة كيميائية في النزاع المستمر منذ 15 أبريل 2023، وفي نهاية مايو الماضي شكل البرهان لجنة وطنية للتحقيق في مزاعم استخدام أسلحة كيميائية في النزاع، تضم وزارتي الخارجية والدفاع وجهاز المخابرات العامة، لكن لم تصل بعد إلى نتائج معلنة.

الإسرائيليون لا يصدقون تفاؤل ترامب حول اتفاق غزة

القدس - أعرب مسؤولون إسرائيليون، السبت، عن استغرابهم من تصريحات الرئيس الأميركي دونالد ترامب بشأن قرب التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في قطاع غزة، مؤكدين أنه لا مؤشرات على تغير بمواقف رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو.

ونقلت صحيفة "يديعوت أحرونوت" العبرية عن مسؤولين مطلعين على محادثات صفقة التبادل، دون تسميتهم، استغرابهم من تصريحات ترامب في ظل عدم وجود "مؤشرات على تغير بموقف حماس ونتنياهو،" واصفين إياها بأنها "أمنية سياسية لا أكثر".

وبحسب المسؤولين، فإن الإدارة الأميركية تدفع باتجاه "صفقة شاملة" تشمل وقف إطلاق النار، وإعادة الأسرى الإسرائيليين، وإنهاء الحرب، تمهيدا لتوسيع اتفاقيات التطبيع في المنطقة.

وذكر المسؤولون أنهم لا يفهمون الأساس الذي يستند إليه تفاؤل ترامب، بعدما قال خلال مؤتمر صحفي بالبيت الأبيض، الجمعة، إن "الوضع في غزة مروع،" وإنه "ربما سيتم التوصل إلى وقف لإطلاق النار في غزة خلال الأسبوع المقبل".

وأكدوا أنهم لم يتلقوا أيّ بلاغ مسبق بحدوث اختراق بمفاوضات صفقة التبادل.

وأوضحوا أن هناك اتصالات تجري في الكواليس بوساطة قطرية ومصرية، إلا أنها لم تفض إلى نتائج أو اختراق.

كما نفى المسؤولون صحة التقارير عن زيارة مرتقبة للمبعوث الأميركي إلى الشرق الأوسط ستيف ويتكوف، مؤكدين أنه لا نية لقدومه إلى المنطقة.

ويقدر المسؤولون الإسرائيليون أن ترامب يسعى لاستغلال الزخم الذي أعقب انتهاء المواجهة بين إسرائيل وإيران، لتحقيق إنجاز سياسي إضافي.

وقال ترامب الجمعة إنه يعتقد أن من الممكن التوصل إلى وقف لإطلاق النار في صراع غزة بين إسرائيل وحركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس) المدعومة من إيران خلال أسبوع.

وقال للصحافيين خلال فعالية في البيت الأبيض احتفالا باتفاق الكونغو الديمقراطية ورواندا على السلام إنه يعتقد أن وقف إطلاق النار في غزة وشيك.

وأضاف أنه كان يتحدث للتو مع بعض المعنيين بمحاولة التوصل إلى وقف لإطلاق النار بين إسرائيل وحماس في القطاع الفلسطيني.

وتقول حماس إنها مستعدة لإطلاق سراح بقية الرهائن المحتجزين لديها في غزة بموجب أيّ اتفاق لإنهاء الحرب، في حين تقول إسرائيل إنها لن توقف الحرب إلا بعد نزع سلاح حماس وتفكيكها. وترفض حماس إلقاء سلاحها.

وفي مايو الماضي، قدم ويتكوف مقترحا لحركة حماس، يقضي بإطلاق سراح نصف الرهائن الإسرائيليين الأحياء، ونصف جثامين القتلى منهم، خلال 7 أيام من بدء سريان الاتفاق، مقابل هدنة لمدة 60 يوما.

وخلال فترة الهدنة، تُجرى مفاوضات غير مباشرة "بجدية وحسن نية،" بهدف التوصل إلى وقف دائم لإطلاق النار.

> مسؤولون إسرائيليون لا يفهمون الأساس الذي يستند إليه تفاؤل ترامب بالتوصل إلى وقف لإطلاق النار في غزة خلال أيام

وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية القطرية ماجد الأنصاري الجمعة إن الوسطاء يتواصلون مع إسرائيل وحركة حماس للاستفادة من وقف إطلاق النار بين إيران وإسرائيل هذا الأسبوع من أجل الدفع باتجاه التوصل إلى هدنة في قطاع غزة.

وقال "إذا لم نستغل هذه الفرصة وهذا الزخم، فستكون فرصة ضائعة من بين فرص كثيرة أتيحت في الماضي القريب. لا نريد أن نشهد ذلك مرة أخرى".

وعود بالانتقام خلال تشييع إيران القادة العسكريين والعلماء النوويين

طهران - شارك الآلاف من الإيرانيين السبت في مراسم تشييع رسمية لستين من القادة العسكريين والعلماء النوويين الذين قتلوا في الحرب التي خاضتها إيران مع إسرائيل.

وتجمّع الآلاف منذ فجر السبت في وسط طهران حول نعوش لفت بالأعلام الإيرانية حاملة صور القادة القتلى. وهتفوا "الموت لأميركا"، "الموت لإسرائيل".

وانطلق الموكب من ساحة انقلاب ("الثورة" بالفارسية) وسط طهران متوجها إلى ساحة آزادي ("الحرية") التي تبعد 11 كلم ويتوسطها برج ضخم يعد من أبرز معالم العاصمة.

وشكر الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان الإيرانيين على مشاركتهم في هذه المراسم.

وقال في منشور على منصة إكس بعد حضوره مراسم التشييع "أشكركم، أيها المواطنون الأعزاء، من أعماق قلبي، لقد رافقتم شهداء الوطن بالحب، ووصل صوت وحدتنا إلى آذان العالم". وأضاف "خدمة أمّة حرّة كهذه شرف لي. إلى الأبد، إيران".

ولم يتم تأكيد حضور المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي المراسم. وعادة ما يؤمّ خامنئي صلاة الجنازة على الشخصيات الكبيرة في إيران.

وظهر علي شمخاني أحد مستشاري خامنئي، بينما كان يتكئ على عصا بعدما أصيب في ضربة إسرائيلية.

وأظهرت مشاهد نقلها التلفزيون مشاركة قائد فيلق القدس الموكل بالعمليات الخارجية في الحرس الثوري الإيراني العميد إسماعيل قاآني.

وفي الشوارع، تجمّع آلاف الأشخاص حاملين أعلاما إيرانية ولافتات كتب على بعضها "بوم بوم تل أبيب"، في إشارة إلى الصواريخ التي أطلقتها طهران على إسرائيل ردا على ضرباتها.

وبدأت إسرائيل الحرب بهجوم مباغت فجر 13 يونيو استهدف مواقع عسكرية ونووية في إيران، وتخللته عمليات اغتيال باستهداف شقق في مبانٍ سكنية، معلنة عزمها على منع إيران من امتلاك القنبلة النووية، وهو ما تنفي طهران السعي إليه.

وكتب وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي السبت على إنستغرام "قدم الإيرانيون دماءهم وليس أرضهم؛ لقد قدموا أحباءهم وليس شرفهم؛ لقد صمدوا أمام وابل من القنابل وزنه ألف طن، لكنهم لم يستسلموا،" مضيفا أن إيران لا تعرف كلمة "استسلام".

وكان محسن محمودي، وهو مسؤول ديني في محافظة طهران، أعلن الجمعة للتلفزيون الرسمي "غدا سيكون يوما تاريخيا لإيران الإسلامية ولتاريخ الثورة". وأغلق العديد من الإدارات والمتاجر السبت.

> الضربات الإسرائيلية أفضت إلى تصفية رئيس هيئة الأركان المشتركة، وقائد الحرس الثوري وقائد القوة الجوفضائية

وأسفرت الضربات الإسرائيلية الأولى عن مقتل قادة عسكريين أبرزهم رئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة محمد باقري، وقائد الحرس الثوري حسين سلامي وأمير علي حاجي زاده، قائد القوة الجوفضائية في الحرس المسؤولة عن المسيّرات والقدرات الصاروخية.

وقتلت مع باقري زوجته وابنته فرشته الصحافية في وسيلة إعلام إيرانية.

وضمت قائمة التشييع السبت ما لا يقل عن 30 من الضباط الكبار. ومن بين العلماء النوويين، تم تشييع محمد مهندي طهرانجي وزوجته. ويسري منذ الثلاثاء وقف لإطلاق النار أعلنه ترامب، بعد 12 يوما من بدء إسرائيل حملة جوية استهدفت على وجه الخصوص مواقع عسكرية ومنشآت نووية في إيران. وليل 21 إلى 22 يونيو، شنّت الولايات المتحدة كذلك ضربات على ثلاثة مواقع نووية رئيسية.

وردت الجمهورية الإسلامية على الضربات الإسرائيلية بإطلاق صواريخ وطائرات مسيّرة نحو الدولة العبرية، بينما أطلقت صواريخ نحو قاعدة أميركية في قطر ردا على ضربات واشنطن.

وتوعد ترامب الجمعة بأن تعاود الولايات المتحدة توجيه ضربات إلى إيران في حال قامت الأخيرة بتخصيب اليورانيوم للاستخدام العسكري، متهما خامنئي بالجحود.

وقال ترامب على منصته "تروث سوشيال"، "كنت أعرف بالضبط أين كان يختبئ، ولم أسمح لإسرائيل، أو القوات المسلحة الأميركية التي تعد الأعظم والأقوى في العالم، بإنهاء حياته".

وكان التلفزيون الإيراني بث الخميس كلمة لخامنئي أشاد فيها بـ"انتصار" الشعب الإيراني على "الكيان الصهيوني الزائف" وقلل من شأن الضربات الأميركية على منشآت نووية رئيسية.

وندد وزير الخارجية الإيراني السبت بتصريحات ترامب "غير المقبولة" بحق خامنئي.

وكتب على إكس "إذا كانت لدى الرئيس ترامب رغبة صادقة في التوصل إلى اتفاق، فعليه أن يضع جانبا نبرته المهينة وغير المقبولة تجاه المرشد الأعلى (...) وأن يكف عن إيذاء الملايين من مؤيديه المخلصين".

الحرس الثوري يفقد أبرز قادته

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

بين حرب الـ12 يوما مع إيران والأيام الستة مع مصر

لماذا أعاد ترامب تكرار رقم 12 لوصف الحرب

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

تعمد الرئيس الأميركي دونالد ترامب التركيز على الرقم 12 في وصف نهاية الحرب بين إسرائيل وإيران، لخلق صورة ذهنية تفيد بأن هذه الحرب حققت أهدافها في مدة قصيرة، ومحاولة الربط بينها وبين حرب إسرائيل مع مصر عام 1967، التي سميت بحرب الأيام الستة، وتلقى فيها النظام المصري آنذاك هزيمة فاضحة.

ما يعزز الربط بينهما في ذاكرة الشعوب أن الحربين جاءتا في شهر يونيو، والمعروف مصريا وعربيا بأنه شهر النكسة، واستغرقت حرب إسرائيل مع إيران ضعف الوقت الذي استغرقته حربها مع مصر، ما يمكن تفسيره بأن التغيير المتوقع سوف يحتاج إلى وقت أكبر، ضعف ما استغرقه مع مصر وصولا إلى التسوية معها.

تحرص بعض الدول على اختيار مسميات لحروبها، وهو معروف في إسرائيل، التي اختارت شعار "الأسد الصاعد" في حربها الأخيرة مع إيران، في إشارة على أن هذه المحطة تدشن هيمنة عملية على منطقة الشرق الأوسط، كما اختارت طهران شعار "الوعد الصادق 3" في رسالة أنها لا تنكص وعودها، وتخوض حروبا مترابطة.

ويمثل دخول الأرقام بالعام أو اليوم في التاريخ العسكري نمطا شائعا، فهناك مثلا حرب المئة عام بين إنجلترا وفرنسا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وحرب 33 يوما بين إسرائيل وحزب الله اللبناني عام 2006، وكل حروب إسرائيل مع حركة حماس كانت لها توصيفات في المسميات والأرقام.

ويحوي التركيز على المدة الزمنية، من حيث طولها أو قصرها، مضامين سياسية معينة، وهو ما ينطبق على حرب إسرائيل مع مصر عام 1967، وتنطوي على رسالة أن كسر القوة العسكرية وتحقيق النصر لم يتطلب أكثر من ستة أيام للنيل من ظاهرة الرئيس جمال عبدالناصر القومية، وبعدها بدأت إسرائيل تثبت أقدامها في المنطقة كقوة عسكرية كبيرة، ثم خاضت حربا أخرى انتصرت عليها مصر في أكتوبر 1973، وهي التي فتحت الباب أمام حدوث تغيير كبير في شكل الصراع العربي – الإسرائيلي، حيث جرى الدخول في تسوية سياسية وتوقيع اتفاقية سلام بين إسرائيل ومصر، وتم تدشين مرحلة جديدة، لا تزال معالمها صامدة منذ نحو نصف قرن.

ما أراده ترامب من تصميمه على تكرار رقم 12 لوصف حرب إسرائيل مع إيران، هو تأكيد أنها بداية طريق لكسر شوكة الظاهرة الإسلامية في إيران، وبدء العد التنازلي لإنهاء النظام الإيراني الحالي، فكما قضت تداعيات حرب الأيام الستة على نظام عبدالناصر، يمكن أن تقضي حرب الـ12 يوما على نظام علي خامنئي، ولو مضى الثاني على طريق الأول في دخوله حرب استنزاف طويلة وإعادة تسليح جيشه ليكون مستعدا لمعركة أكتوبر وطي صفحة الصراع العسكري العلني بين القاهرة وتل أبيب.

يكمن الفرق بين مصر سابقا وإيران حاليا في أن إسرائيل لم تكن بالقوة العسكرية التي عليها الآن، والتوازنات الدولية كانت أكثر اعتدالا مما هي عليه اليوم، ولم يكن هناك رئيس أميركي يريد تحقيق السلام بالقوة، مثل ترامب، وكما أن حرب الأيام الستة أثرت معنويا وماديا على شخصية عبدالناصر وكسرته من الداخل، يحاول خامنئي عدم الوقوع في هذا الفخ، ويظهر قدرة فائقة على مواصلة المعركة بخطابات رنانة.

الفرق بين مصر سابقا وإيران حاليا هو أن إسرائيل لم تكن بالقوة العسكرية التي عليها الآن، والتوازنات الدولية كانت أكثر اعتدالا

وإذا كان الرئيس جمال عبدالناصر اضطر إلى إعلان مسؤوليته عن الهزيمة وأعلن استقالته من منصبه وعاد على ظهور جماهيره في مظاهرات شعبية حاشدة، بعيدا عن كون هذه المسألة معدة سلفا أم تلقائية، فخامنئي ليس في حاجة إلى أن يعلن تقاعده ويعود على ظهور جماهيره في طهران، لأنه أصلا لا يعتبر نفسه مني بهزيمة، بل حقق نصرا مؤزرا، وحالة عبدالناصر وحرب الأيام الستة لم تكن الهزيمة تحتمل لبسا أو تشويشا.

وما يمنح النظام الإيراني فرصة للحديث عن انتصاره، أن إسرائيل اعتقدت سهولة المعركة معه، وقدرتها على الحسم بعد الضربة الأولى القوية، فضلا عن تدخل الولايات المتحدة إلى جانبها لإنقاذها عسكريا، وإيجاد صيغة مرنة لوقف الحرب لا تظهر فيها طهران منكسرة تماما، بعد أن تمكنت صواريخها الباليستية من اختراق أماكن عديدة في العمق الإسرائيلي، وبدت تجليات الحرب وشواهدها واضحة في تدمير مناطق مدن مثل تل أبيب وحيفا وبئر السبع.

وكما كانت حرب الأيام الستة ثقيلة ومضنية في مصر، فالاثنا عشر يوما كذلك في إيران، حيث احتاجت القاهرة إلى مراجعة كبيرة في بنية النظام الحاكم وإجراء تصفية للجيوب الرخوة وإعادة هيكلة المؤسسة العسكرية والمخابراتية، وهو ما تقوم به طهران حاليا، التي اكتشفت أنها مخترقة على نطاق واسع من قبل أجهزة الاستخبارات الأميركية والإسرائيلية، أما فكرة وصول إيران إلى نصر، كما وصلت مصر بعد ستة أعوام، فهذه عملية تتوقف على طبيعة التغيرات في قوام الجيش والحرس الثوري وما يعتمل بينهما من تناقضات خفية.

علاوة على آليات المراجعة داخل النظام الإيراني والقيام بتحول في بنيته الفكرية والسياسية، فالولايات المتحدة وإسرائيل على استعداد للتعايش مع طهران، إذا تخلت عن شيطنتهما، ولا توجد ممانعات من الدخول معها في تفاهمات، وهو ما يمكن أن تكشفه الفترة المقبلة، فعلى ضوء التوجهات التي سيتبناها خامنئي يمكن أن تتضح معالم العلاقة بين الجانبين، خاصة أن هناك يقينا بأن حرب الـ12 يوما قد تكون جولة في معركة طويلة وممتدة تستمر سنوات، وأن تل أبيب (وخلفها واشنطن) لن تسمح لطهران بتحقيق نصر على النمط المصري للدخول معها في تسوية سياسية.

ثمة رهان على أن المراجعة في إيران المتعلقة بتصورات النظام ليست بالضرورة أن تكون في اتجاه الاستعداد لخوض جولة أخرى من الحرب تبدأها طهران هذه المرة، لكن في اتجاه القيام بتحول في التوجهات العامة، فقد تأكد النظام الحاكم في طهران من وجود أوراق عديدة تملكها إسرائيل والولايات المتحدة ترهق إيران وتستنزف مواردها، وتأكد أن الاعتماد على أذرع وأجنحة خارجية قد تنقلب إلى وبال في أيّ لحظة، وأن حجم الإنفاق عليها زاد بشكل بات المواطنون يتذمرون منه.

وتحول التمسك بالبرنامج النووي إلى أزمة مادية وعسكرية، وأصبح نقطة تنفذ منها دول كبرى إلى قلب إيران، ولن تتسامح الولايات المتحدة وإسرائيل مع طهران، حال التصميم على المضي قدما فيه، ما يشي بالمزيد من الخسائر عند حدوث مواجهة جديدة، ولذلك قد تكون حرب الـ12 يوما نقطة تحول في الاستمرار أو التعثر.

وفي الحالتين سوف تحدث تحولات كبرى في طهران، لأن الاستمرار يحتاج إلى استعدادات مختلفة لدخول جولة أخرى، والتعثر يمهد لفتح صفحة جديدة، وذلك حسب طريقة التعثر، وهل عبر إرادة إيرانية، أم قسريا وبسبب ضغوط أميركية وإسرائيلية.

المهم أن حرب الـ12 يوما، ربما تتحول إلى بداية أو نواة لمرحلة جديدة ذات طابع سياسي، تبدو شبيهة بما حدث في مصر عقب حرب الأيام الستة، مع مراعاة الفروق المحورية بين مصر وإيران، ومركزية كل منهما في المنطقة، ما يجعل نمط التعامل الإسرائيلي عسكريا وسياسيا مع كليهما مختلفا.

ماذا لو استأنفت إيران تخصيب اليورانيوم

إدارة ترامب تحت الضغط بعد شكوك في فاعلية استهداف البرنامج النووي

إيران قد تتخذ قرارا يقوم على تسريع التخصيب ردا على الهجمات الأميركية والإسرائيلية ومنعا لأيّ مسعى استهداف جديد في المستقبل. وفي حال تم هذا الأمر، فإن طهران تضع إدارة الرئيس دونالد ترامب تحت ضغوط شديدة بعضها يتعلق بمصداقية المعلومات التي يصدرها بشأن الضربات والبعض الآخر بمدى قدرته على التحرك لمنع أيّ خطوة جديدة باتجاه التخصيب.

واشنطن - حققت الهجمات الجوية الأميركية والإسرائيلية على مدار 12 يوما ضد إيران حققت نجاحا ملحوظا على مستويين، الأول يتعلق بضرب البرنامج النووي والثاني البرنامج الصاروخي، فضلا عن تصفية الكادر العسكري والعلمي. وتوجت الحملة في 21 يونيو بهجمات شنتها الولايات المتحدة بطائرات بي – 2 مستخدمة أكبر ذخيرة خارقة للتحصينات، وهذه قدرة تفتقر إليها إسرائيل، إضافة إلى صواريخ كروز ما تسبب في ضرر كبير لمواقع إيران النووية في نطنز و فوردو وأصفهان.

لكن الغموض بشأن دقة الضربات التي طالت المواقع النووية يثير التساؤلات حول قدرة إيران على العودة إلى التخصيب، وهل الأمر يمكن أن يتم بسرعة أم ببطء شديد.

ويرى المحلل الأميركي جريج بريدي أن النجاح الواضح للحملة العسكرية لم يؤد إلى اتضاح المشهد، هل تم إنهاء البرنامج النووي أم أن الأضرار يمكن تلافيها، وهذه نقطة يبدو أن الرئيس دونالد ترامب ينفيها أو يحاول حجبها، بينما يعترف بأن استئناف المفاوضات مع طهران سوف يكون أمرا ضروريا.

وفي لاهاي يوم 25 يونيو في قمة حلف شمال الأطلسي (ناتو)، عندما سئل ترامب عمّا إذا كانت الولايات المتحدة تعتزم مهاجمة إيران إذا أعادت بناء برنامجها الخاص بالتخصيب، قال "أكيد".

ويرجع جزء من النهج الدفاعي الحالي لإدارة ترامب إلى تسريب تقرير يوم 24 يونيو من وكالة استخبارات الدفاع بشأن الضرر الذي تعرض له البرنامج النووي الإيراني، والذي ذكر في تقييمه أنه تمت إعادة البرنامج عدة أشهر للوراء ولم يتم تدمير المعدات والأجهزة الرئيسية.

ومع ذلك، تضمن التقرير العديد من الملاحظات التي أثارها على مدار سنوات محللون يشككون في إمكانية أن يكون هناك حل عسكري للقضية النووية الإيرانية، تشير إلى أن أيّ حملة قصف قصيرة لا يمكن أن توقف بشكل نهائي برنامج إيران.

وصرح النائب الديمقراطي عن ولاية إلينوي مايك كويجلي لصحيفة "واشنطن بوست" في 25 يونيو أن مسؤولي استخبارات أميركيين أبلغوه على مدار سنوات بأن أي هجوم جوي على المنشآت النووية الإيرانية لن يكون له تأثير دائم وأن هناك شكوكا في أن الضرر المحدود هو السبب وراء قيام إدارة ترامب بتأخير عقد جلسة إحاطة سرية في الكونغرس كانت مقررة في ذلك اليوم.

وبصرف النظر عن الأسئلة الفورية المتعلقة بالرؤى السياسية والمعلومات الاستخباراتية، أوضحت إيران بجلاء أنها تعتزم أن تعيد بناء برنامجها الخاص بالتخصيب.

ويعني ذلك أن وقف إطلاق النار الحالي ربما لا يستمر لفترة طويلة، لأن استئناف أنشطة التخصيب ستتطلب ضرورة شن هجمات إسرائيلية أو أميركية، وإذا كان هذا ممكنا، فإنه يمكن أن يتضمن محاولة من جانب الإيرانيين لرفع نسبة اليورانيوم عالي التخصيب الذي لديهم والتي تبلغ 60 في المئة، إلى درجة تصنيع أسلحة.

وعندما يجتمع مسؤولون أميركيون وإيرانيون، والذي قال ترامب إن هذا سيكون في الأسبوع الجاري، فإن من المرجح أن تتعرض إدارة ترامب لصدمة شديدة.

الرد الإيراني قد يتضمن رفع نسبة اليورانيوم عالي التخصيب والتي تبلغ 60 في المئة، إلى درجة تصنيع أسلحة

فماذا سوف يحدث عندما يلتقي مسؤولون أميركيون وإيرانيون؟

لقد تعرضت إيران لضربة موجعة، ولكنها لم تسقط، ولديها أوراق لتلعب بها، وبصفة خاصة حقيقة أنه مازال لديها يورانيوم عالي التخصيب بنسبة 60 في المئة.

وإذا تمكنت إيران من إقامة منظومة من أجهزة الطرد المركزي في مكان ما سري، فإنه يمكنها أن تصنع في نهاية المطاف رأسا حربية.

ووقف إطلاق النار الحالي صامد، ولكنه أبعد ما يكون عن توازن مستقر وسوف يحتاج ترامب إلى أن يقنع إيران بالموافقة على قيود في مفاوضات لن تكون من جانب واحد تماما،حتى إذا لم يكن يستوعب ذلك بعد، كما بدا واضحا في تصريحاته العامة.

وسوف تواصل إيران الإصرار على الاحتفاظ ببعض عمليات التخصيب، حتى إذا كانت تحت قيود شديدة الصرامة.

ومع افتراض أن إدارة ترامب سوف تتمسك بشدة بموقفها الرافض لأيّ تخصيب، فإنه في تلك الحالة، سوف تنهار المحادثات مرة أخرى وسوف يتم في نهاية المطاف جر إسرائيل والولايات المتحدة إلى عمل عسكري مرة أخرى، ربما في غضون أشهر وليس سنوات.

وقد أرست إسرائيل أيضا الآن سابقة أن القرارات الخاصة بموعد اللجوء للعمل العسكري سوف يتم اتخاذها في القدس وليس في واشنطن، ومع ذلك سوف توفر الأخيرة القدرات الإضافية عندما تكون هناك حاجة إليها.

وسوف تكون إحدى الوسائل التي يمكن من خلالها أن ينهي ترامب هذه الديناميكية، ولا يبدو أن هناك وسائل أخرى كثيرة، هي اتخاذ موقف أكثر مرونة بشأن الاحتفاظ بتخصيب محدود في ظل ضمانات شديدة الصرامة.

وسوف تؤدي أيّ عودة إلى تدبير على غرار ما تضمنته خطة العمل الشاملة المشتركة، (الاتفاق النووي الإيراني 2015)، ولكن مع استخدام القدرة على استئناف الهجمات المحتملة للحصول على المزيد من الشفافية، إلى أن تكون إيران مسؤولة عن مخزونها من اليورانيوم عالي التخصيب والتخلي عنه، والامتناع عن تخصيب اليورانيوم إلى ذلك المستوى مرة أخرى، ما يزيل الاحتمال الحقيقي للغاية بأن إيران يمكنها أن تنسحب قريبا من معاهدة منع الانتشار النووي وتواصل أنشطتها سرا باستخدام تلك المادة القريبة من درجة صنع أسلحة.

وقال بريدي، وهو زميل أول في مركز ناشونال إنتريست، إن هذا أمر مؤسف بالنسبة إلى الولايات المتحدة ولكن بالنسبة إلى إيران فإن امتلاك تلك المادة ورقة مساومة رئيسية حيث من المرجح أن تلوّح بها "لنا" في الأسبوع المقبل. وإذا كان لا يمكن بالنسبة إلى الولايات المتحدة أن تذهب إلى هذا المدى، فربما يمكن إعداد ذلك في صورة تدبير مؤقت قبل تشكيل هيئة تخصيب إقليمية كما ورد في الاقتراح الأميركي الأخير الذي تم تقديمه لإيران.

ويتمثل الهدف الملح على المدي القريب في تحقيق الشفافية وانتزاع اليورانيوم عالي التخصيب من إيران.

ويرى بريدي أن ما يواجهه ترامب هو اختيار بين التخلي عن كبريائه وقبول اتفاق نووي على غرار خطة العمل الشاملة المشتركة أو جره إلى سيناريو العمل العسكري.

الجدير بالذكر أن غالبية من الأميركيين لا يوافقون بالفعل على العمل العسكري الأميركي ضد إيران، وأظهر استطلاع للرأي أجرته شبكة سي إن إن بعد الهجمات الأميركية موافقة 44 في المئة مقابل معارضة 56 في المئة. وحتى بين الجمهوريين، أعرب 44 في المئة فقط عن دعم قوى للعمل العسكري الأميركي، ما يوضح المدى الذي تنظر به قاعدة ترامب وهي حركة "لنجعل أميركا عظيمة مرة أخرى" إلى هذا على أنه انحراف عن شعار "أميركا أولا".

وسوف يكون من الحكمة أن يكون الرئيس الأميركي ثاقب البصيرة وينظر للمدى البعيد وليس الآني بشأن هذا الأمر. وكانت إيران قد أذعنت لخطة العمل الشاملة المشتركة ولكن "إذا كنا على طريق إلى العمليات العسكرية المتكررة ضد إيران لتتبع جهودها النووية السرية، فهناك كل الأسباب التي تدعو للاعتقاد بأن هذا سوف يصبح طريقا مليئا بالمشاكل بالنسبة إلى ترامب والجمهوريين الذين سيواجهون انتخابات التجديد النصفي في عام 2026 والانتخابات الرئاسية عام 2028."

كيف يفكر الإيرانيون: تخصيب أم تهدئة

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

إيران... من دون مشروع توسّعي

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

كلّ ما حصل أن الرئيس دونالد ترامب استطاع الخروج منتصرا، أقلّه ظاهرا، من المواجهة الإيرانيّة – الإسرائيلية. استفاد الرئيس الأميركي إلى حد كبير من حاجة إيران إلى وقف إطلاق النار في ظلّ حرب طرح فيها ترامب موضوع تغيير النظام، قبل العدول عن ذلك.

هل تكتفي إيران بكلام ترامب عن عدم الرغبة في تغيير النظام وبمسرحية إطلاق صواريخ على قاعدة العيديد في قطر، كي تعتبر أنّها تجاوزت تجربة الحرب مع إسرائيل وأنّ في استطاعتها الإعلان أنّها خرجت منتصرة من تلك الحرب. ستعتبر نفسها منتصرة على الرغم من كل ما تكبدته من خسائر واضطرارها إلى التخلي عن مشروعها النووي وصواريخها الباليستية وأدواتها في المنطقة من نوع "حزب الله" وما شابه.

بات موضوع بقاء النظام أولوية إيرانيّة بعدما استطاعت إسرائيل نقل الحرب إلى داخل إيران واغتيال عدد لا بأس به من القادة العسكريين الإيرانيين والعلماء النوويين من جهة وبعدما ظهر بوضوح ضعف "المرشد الأعلى" علي خامنئي على كل صعيد من جهة أخرى.

من بين ما كشف ضعف "الجمهوريّة الإسلاميّة" أيضا، كلام المسؤولين الإيرانيين طوال الحرب المباشرة بين الدولة العبريّة و"الجمهوريّة الإسلاميّة"عن القانون الدولي ومدى تمسّك "الجمهورية الإسلامية" بهذا القانون ومبادئه.

فجأة، تذكّرت "الجمهوريّة الإسلاميّة" القانون الدولي. نسيت الجهود، المستندة إلى الاغتيالات والعنف والإكراه وإثارة الغرائز المذهبيّة، التي بذلتها من أجل ضمان نجاح مشروعها الإقليمي. شمل ذلك وضع اليد على لبنان، حيث كانت جهود إيرانيّة بدأت عمليا منذ ما يزيد على 43 عاما. أي منذ دخول طلائع "الحرس الثوري" إلى الأراضي اللبنانية وتمركزها في ثكنة للجيش اللبناني (ثكنة الشيخ عبدالله) في بعلبك.

تعطي مغامرة لبنان فكرة عن سقوط المشروع التوسعي الإيراني الذي سقط عمليا مع فرار بشّار الأسد من دمشق في الثامن من كانون الأوّل – ديسمبر 2024.

تابعت "الجمهوريّة الإسلاميّة" تنفيذ أهدافها في لبنان، بغطاء سوري، في معظم الأحيان، من دون كلل أو ملل. فعلت ذلك طوال سنوات بتفاهم ضمني مع إسرائيل المعروفة بدورها بعدائها للقانون الدولي. توّجت الجهود الإيرانية في لبنان بحرب "إسناد غزّة" في 2023. أثبتت "الجمهوريّة الإسلاميّة" من خلال تلك الحرب أنّها تمتلك قرار الحرب والسلم في لبنان وأنّها، تسيطر بالكامل عبر "حزب الله"، على قرار الدولة اللبنانية!

يأتي الكلام الإيراني عن التمسك بالقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة في وقت تؤكّد فيه الأحداث التاريخية، منذ إعلان قيام "الجمهوريّة الإسلاميّة"، أن هذه الجمهورية لم تعر يوما أيّ اهتمام بالقانون الدولي. لم يكن لدى إيران، منذ العام 1979 وسقوط نظام الشاه، أيّ علاقة بالقانون الدولي. يمكن العودة في هذا المجال إلى احتجاز دبلوماسيي السفارة الأميركية في طهران طوال 444 يوما وتعريضهم للإذلال ابتداء من تشرين الثاني – نوفمبر 1979.

لا حاجة إلى الذهاب بعيدا لتأكيد أنّ إيران، منذ سقوط الشاه، لم تحترم يوما القانون الدولي بمقدار ما أنّه كان هناك قانون خاص بها جعلها تستفيد إلى أبعد حدود من حاجة الولايات المتحدة إليها في سياق سياسة أميركيّة مدروسة تستهدف ابتزاز دول المنطقة. كان ذلك عبر تصوير الولايات المتحدة لنفسها بالملجأ الوحيد الذي يحمي دول الخليج من البعبع الإيراني الذي رفع شعار "تصدير الثورة".

هل النظام الإيراني بشكله الحالي قابل للحياة من دون المشروع التوسّعي وذلك على الرغم من احتفالات بالانتصار التي شهدتها بغداد كي تظهر أن هذا المشروع لم يمت نهائيا بعد؟

يبدو مفيدا، في كلّ وقت، التذكير بما فعلته إيران في لبنان وذلك منذ اليوم الأول لمباشرة نشاطها في البلد. كان ذلك بخطف رئيس الجامعة الأميركية في بيروت ديفيد دودج الذي أطلق لاحقا من طهران بعد نقله إليها عن طريق الأراضي السوريّة.

في الواقع، سكتت الإدارات الأميركية المتلاحقة طويلا عن تصرفات إيران. سكتت في ثمانينات القرن الماضي عن خطف أميركيين، بمن في ذلك مدير محطة "سي. آي. إي" في بيروت وليم باكلي وآخرون مثل الكولونيل وليم هيغينز الذي كان يعمل مع المراقبين الدوليين في جنوب لبنان التابعين للأمم المتحدة (هيئة مستقلة عن القوات الدولية). تعرّض الكولونيل هيغينز لتعذيب شديد، شمل سلخ جلد جسده، قبل وفاته.

كذلك، سكتت الإدارات الأميركيّة عن كلّ ما فعله "حزب الله"، وهو لواء في "الحرس الثوري" الإيراني. استطاع الحزب، عبر الإرهاب الذي مارسه، جعل الولايات المتحدة تغادر عسكريا الأراضي اللبنانية. كان ذلك بعد تفجير سفارة أميركا في العاصمة اللبنانية وبعد عملية انتحارية استهدفت مقرّ المارينز قرب مطار بيروت يوم 23 تشرين الأوّل – أكتوبر 1983.

في كلّ ما فعلته إيران في لبنان، وغير لبنان، لم تحترم يوما القانون الدولي، اللهمّ إلّا إذا كانت عملية تفجير موكب رفيق الحريري ورفاقه في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005 جاءت في سياق التزام شرعة حقوق الإنسان المعتمدة لدى الأمم المتحدة. كان الهدف من اغتيال رفيق الحريري القضاء على المحاولة الوحيدة لإعادة الحياة إلى بيروت وإلى لبنان منذ اندلاع الحرب الأهليّة وحروب الآخرين على أرض لبنان، في 13 نيسان – أبريل 1975. هذا ما كان مفترضا برئيس الجمهورية جوزيف عون الإشارة إليه، بدل تجاهله كلّيا، في أثناء الاحتفال بإنارة ساحة الشهداء وساحة النجمة.

نظريا، توقفت الحرب الإسرائيلية – الإيرانية. يظل الدخول الأميركي المباشر إلى جانب إسرائيل في هذه الحرب بين أبرز المحطات التي تخلّلتها منذ اندلاعها في 13 حزيران – يونيو 2025. لكنّ توقف الحرب لا يعني أن التحديات التي تواجه النظام الإيراني زالت. لا تزال هذه التحديات قائمة على الرغم من انتهاء المشروع التوسعي الإيراني والغموض الذي يحيط بوضع "المرشد الأعلى" وثبوت مدى قدرة إسرائيل على اختراق المؤسسة الأمنية الإيرانية والمجتمع الإيراني بشكل عام...

بقاء النظام أولوية إيرانيّة

في النهاية، هل النظام الإيراني بشكله الحالي قابل للحياة من دون المشروع التوسّعي وذلك على الرغم من احتفالات بالانتصار التي شهدتها بغداد كي تظهر أن هذا المشروع لم يمت نهائيا بعد؟

لبنان وأسئلة الدولة المؤجلة وسلاح حزب الله

مالك الحافظ
كاتب وباحث سوري

منذ انتخاب جوزيف عون رئيساً للجمهورية اللبنانية في كانون الثاني الماضي، بعد عام ونصف العام من الفراغ، بدا أن العنوان الأول لعهده لا يتركز بشكل منفرد على استعادة انتظام المؤسسات، وإنما ترسيخ منطق الدولة في بلد طالما عانى من ازدواجية القرار ومصادرة السيادة. وهذا ما كشفه في الخطاب الرئاسي بالإشارة إلى حصرية السلاح بيد الدولة اللبنانية والمؤسسات الشرعية، باعتباره شرطاً جوهرياً لإعادة بناء الجمهورية على أسس السيادة والاستقرار.

الآن؛ وفي لحظة إقليمية بالغة الحساسية، بعد إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب، مساء الثالث والعشرين من يونيو الجاري عن وقف التصعيد العسكري بين إيران وإسرائيل، إثر سلسلة ضربات متبادلة خلال مدة قاربت الأسبوعين وكادت تجرّ المنطقة إلى مواجهة مفتوحة.

وفيما يُعدّ هذا الإعلان محطة سياسية مفصلية، تكتسب الجبهة اللبنانية أهمية مزدوجة؛ من جهة، لأنها كانت إحدى ساحات التوتر غير المباشر طوال الأشهر الماضية، ومن جهة ثانية، لأنها ما تزال تخضع لمعادلة قوة خارج سلطة الدولة الرسمية. لذا فإن هذه اللحظة السياسية تأتي لتُعيد طرح سؤال السيادة في لبنان؛ فهل يمكن أن تكون استعادة القرار الوطني جزءاً من مناخ إقليمي يميل نحو التهدئة، وهل يُتاح للبنان أن يتحوّل من ساحة لصراعات الآخرين إلى كيان يُعاد بناؤه على منطق الدولة، وليس منطق الفصائل؟

في ضوء هذه المستجدات، تتجاوز مسألة سلاح الحزب بُعدها المحلي، لتغدو اختباراً لمدى قدرة الدولة اللبنانية على الانتقال من منطق "توازن الفصائل" إلى منطق "احتكار العنف المشروع"، ليس من موقع التصادم، وإنما من موقع إعادة ترتيب الداخل بما يخدم مشروع السيادة والاستقرار.

لم تكن مشكلة لبنان في وجود فصيل مسلح خارج الدولة فحسب، بقدر ما كانت تتأثر الدولة في تحوّل هذا الواقع إلى قاعدة مؤسسة لمنطق الدولة نفسها. فحين يصبح "الاستثناء" هو القاعدة، يتهدم عقد الدولة الحديثة القائم على احتكار العنف المشروع، وتُستبدل السيادة المتخيلة للجمهورية بمنطق مزدوج؛ دولة في الشكل، ومجال نفوذ متداخل مع مصالح إقليمية في المضمون.

في قلب هذه المشهدية، تتراءى مسألة سلاح "حزب الله" كرمز مركزي لانقسام بنيوي في الرؤية إلى الدولة نفسها، وإلى من له الحق في احتكار العنف، وإلى موقع لبنان من صراعات الإقليم المتشابكة.

تكمن معضلة السلاح في كونه تجاوز منذ زمن بعيد حدود "الردع الدفاعي"، ليتحول إلى عنصر تأسيسي في معادلة الحكم وفي تشكيل الهوية السياسية لدى شريحة واسعة من اللبنانيين. وهذا ما يجعل من الحديث عن نزع السلاح أو "دمجه" ضمن مؤسسات الدولة مسألة لا تتعلق فقط بترتيبات أمنية أو توافقات سياسية، وإنما بعملية إعادة تعريف لمفهوم الدولة ذاتها، ولدورها في الإقليم.

إذا كانت معادلة "السلاح مقابل الردع" قد شكلت لعقود أحد مرتكزات التوازن الداخلي في لبنان، فإن الشهور الأخيرة كشفت عن تصدّعات كبيرة في هذا التوازن، بفعل الضربات المتكررة التي تلقاها الحزب، لاسيما في الجنوب اللبناني. فخسارة عدد من قياداته العسكرية البارزة، وتدمير جزء من بنيته الصاروخية وشبكاته اللوجستية، لم تمس فقط قدرته العملياتية، بل أصابت أيضاً "هيبة الردع" التي طالما تمسك بها.

ويُلاحظ بالتوازي، أن مكانة الحزب داخل بيئته الاجتماعية تمر بتحوّلات خفية لكنها متزايدة، بفعل الأثمان التي دُفعت، والفراغات التي أحدثها غياب القيادات، ما يفتح أسئلة صامتة حول الكلفة المجتمعية للمسار القائم، وحول احتمالات انزياحات بطيئة في علاقة الحزب بجمهوره التقليدي، وإن لم تتبلور بعد سياسياً.

وما يزيد من حساسية هذا التراجع أنه يأتي في سياق إقليمي يشهد تآكلاً تدريجياً في فاعلية الأذرع الإيرانية، نتيجة تصاعد العمليات الإسرائيلية، وتبدّل أولويات المحور الإيراني الذي يواجه بدوره أزمات داخلية وضغوطاً دولية متزايدة.

كل ذلك يجعل من السؤال عن مستقبل "سلاح الحزب" أكثر من مجرد مطلب سياسي داخلي؛ إنه تحوّل في موازين القوة، يفتح هامشاً جديداً؛ ولو ضيقاً، لإعادة التفاوض حول وظيفة هذا السلاح، وموقعه من مشروع الدولة اللبنانية.

لم يكن حضور السلاح خارج سلطة الدولة اللبنانية استثناءً طارئاً، فهو نتيجة لمسار تاريخي تراكمي بدأ يتبلور بوضوح منذ اتفاق الطائف عام 1989، الذي أنهى الحرب الأهلية دون أن يُنهِ منطق السلاح الموازي. فقد نصّ الاتفاق صراحة على حلّ جميع الميليشيات اللبنانية ونزع سلاحها، باعتباره شرطاً مركزياً للانتقال إلى الدولة الواحدة ذات السيادة. إلا أن الاتفاق لم يُحدّد موقفاً واضحاً من الجماعات التي كانت ترفع شعار مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ما فتح الباب لاحقاً لتفسير سياسي استُخدم لإبقاء سلاح "المقاومة" خارج معادلة الحل، بذريعة وظيفته التحريرية. هذا الاستثناء غير المُعلن في النص، لكنه المُعتمد فعلياً في السياسة، هو ما أسّس لبذرة الازدواجية التي ستتمدد لاحقاً في بنية الدولة اللبنانية وتُعيد إنتاج مفارقة السلاح الشرعي وغير الشرعي تحت سقف جمهورية واحدة.

ثم جاء الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب عام 2000، ليُعيد تعريف موقع السلاح من كونه مشروع تحرير، إلى مشروع تثبيت نفوذ داخلي. ومع حرب تموز 2006، انتقل السلاح إلى مرتبة أكثر حساسية؛ صار رمزاً للسيادة البديلة، ومركز ثقل في ميزان القوة السياسي، لاسيما في ظل بنية طائفية تُعيد إنتاج نفسها عبر أدوات القوة وخارج أيّ أطر مؤسسية وطنية.

هذا السياق التاريخي يُظهر أن معضلة السلاح ليست مسألة راهنة بقدر ما هي امتداد لصياغات غير مكتملة للسيادة منذ ولادة الجمهورية الثانية، ما يجعل أيّ مقاربة جدية لنزع السلاح رهينة لتفكيك تلك العقد التاريخية.

وبموازاة هذه الجدلية التاريخية، لا يمكن إغفال موقع القوى المسيحية، ولاسيما المارونية منها، في معادلة السلاح. فكون رئيس الجمهورية مارونياً، وتحديداً في ظل التحوّلات التي أصابت التحالفات التقليدية، يعيد إلى الواجهة موقع الكتل المسيحية من هذا السلاح، بين خطاب "التيار الوطني الحرّ" الذي لطالما برّر بقاءه تحت عنوان التفاهم مع الحزب، وخطاب "القوات اللبنانية" الذي يصرّ على نزع هذا السلاح بوصفه شرطاً لتوازن الدولة. هذا الانقسام الماروني نفسه يُعبّر عن التصدع داخل البنية المسيحية تجاه وظيفة الدولة، بين من يراها ملحقاً توافقيّاً، ومن يطمح لاستعادتها كمركز سيادي مستقل.

ومن هنا؛ فلا يمكن الحديث عن "نزع سلاح الحزب" خارج سياقين متداخلين؛ الأول متمثلاً بالسياق الداخلي المتعلق بإعادة إنتاج الدولة ومؤسساتها الوطنية بعيداً عن منطق المحاصصة والانقسام العمودي، بينما يتمحور الثاني حول السياق الإقليمي المرتبط بتوازنات القوى بين إيران وخصومها، والتفاهمات الدولية حول النفوذ في الشرق الأوسط.

من دون تعديل في هذين السياقين، يظل الحديث عن تسليم السلاح أقرب إلى خطاب طوباوي. لكن في المقابل، يمكن تصوّر سيناريوهات تدريجية غير صدامية؛ تُبنى على قواعد شراكة داخلية حقيقية، تبدأ من إعادة تعريف دور الجيش، وتكريس حيادية الدولة كمرجعية فوق طائفية، ودمج أي بنى قتالية غير رسمية ضمن إستراتيجية وطنية شاملة، تقوم على الأمن الجماعي وليس على توازن الرعب.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الرهان على الدولة هو خيار وجودي لمستقبل لبنان ككيان قابل للاستمرار. فالتجربة أظهرت أن تعدد السلطات، وازدواجية القرار الأمني والسياسي، لا يؤديان إلا إلى المزيد من التآكل في الثقة الداخلية، وانكشاف خارجي دائم أمام تحولات الإقليم.

ما تمكن المراهنة عليه في مسألة تسليم سلاح حزب الله؛ هو تثبيت أولوية مشروع الدولة في الوعي الجمعي، وتطوير خطاب وطني عقلاني يبتعد عن الثنائيات المدمرة؛ مع أو ضد، خيانة أو مقاومة، شرق أو غرب. وحده هذا الخطاب قادر على إعادة تصويب البوصلة، من النقاش حول "سلاح الحزب"، إلى النقاش حول "أيّ دولة نريد؟" وكيف يمكن أن يكون العنف، وكل أدوات القوة، في خدمة هذه الدولة، وليس في خدمة مشروع فوقها أو مضاد لها.

إن بناء دولة لبنانية قوية، لا يقتضي فقط تسليم السلاح، وإنما يتطلب تحرير الخيال السياسي من قبضة الانقسام الهوياتي، وإعادة هيكلة مفهوم الوطنية ليشمل الجميع دون وصاية. وهي مهمة صعبة، لكنها ليست مستحيلة، خصوصاً إذا ما شُرع في بناء توافق داخلي متين يستند إلى أولوية العقد المدني، وحصرية الدولة، واستقلالها عن محاور الخارج.

كيف سيتخلص لبنان من نفوذ الحزب

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

من لا يعمل لا يبقى.. خطاب الرئيس قيس سعيّد في وجه بيروقراطية التعطيل

علي قاسم
كاتب سوري

المشهد التونسي مثقل بالأزمات الاقتصادية، والمخاوف الاجتماعية، والتأجيلات المربكة، وهو ما دفع الرئيس التونسي قيس سعيّد للتوجه بخطاب هو أقرب إلى إنذار وطني من كونهُ مجرّد تصريح سياسي. جرى ذلك أثناء لقائه برئيسة الحكومة سارة الزعفراني الزنزري يوم 25 يونيو – حزيران 2025. لم يكن خطابًا عاديًا في لغته، بل كان واضحًا في اتهامه ومباشرًا في موقفه: هناك من يعمل، من داخل مؤسسات الدولة نفسها، على تأجيج الأوضاع وتعطيل المصلحة العامة، وينبغي أن يُحاسَب.

في وضع مثل هذا تصبح لغة الرئيس قيس سعيّد مفهومة وضرورية؛ لا يمكن الاستمرار في استنزاف صبر المواطن باسم الأعذار الإدارية خاصة عندما تُستخدم نصوص قانونية ذريعة للتباطؤ

حين يتحدث الرئيس عن "اللوبيات"، فإنه لا يخترع عدوًا افتراضيًا، بل يشير إلى واقع يعرفه التونسيون جيدًا. كل مشروعٍ متعطّل، كل طريق لم يُرصف، كل مستشفىً لم يُنجز، ليس نتيجة نقص الأموال فقط، بل أحيانًا بسبب قرار إداري مُعلّق عمدًا، أو توقيع لمخوّن، أو بيروقراطية يراد لها أن تُعيق لا أن تُدير.

خذ مثلًا مشروع مستشفىً قفصة متعدد الاختصاصات، الذي ظلّ معطّلًا منذ 2016، رغم أهميته الحيوية للجهة. أو سدّ القلعة الكبرى، الذي توقفت أشغاله لسنوات قبل أن يُستأنف بصعوبة في 2024. أو مشروع تهيئة سبخة السيجومي، على أطراف العاصمة تونس، الذي يُفترض أن يُحوّل منطقة مهمّشة إلى واجهة حضرية حديثة، لكنه لا يزال في طور الإعداد رغم مرور سنوات على الإعلان عنه.

هذه ليست مجرد حالات فردية، بل نمط متكرّر من التعطيل الهيكلي، حيث تتشابك الإشكاليات العقارية، وسوء الحوكمة، والتراخي الإداري، لتُنتج ما يُشبه "الشلل التنموي".

وقد أظهرت الحكومة، من جهتها، أنها بدأت تتحرك في هذا الاتجاه، حيث تمّ إحداث لجنة عليا لتسريع إنجاز المشاريع العمومية، وأُنجز جرد شامل كشف عن وجود 1126 مشروعًا معطّلًا، بعضها ممول وجاهز، لكنه لم يُنفّذ بسبب عراقيل إدارية أو لوجستية.

في هذا السياق، تصبح لغة الرئيس سعيّد مفهومة: لا يمكن الاستمرار في استنزاف صبر المواطن باسم الأعذار الإدارية، خاصة عندما تُستخدم نصوص قانونية "كذريعة للتباطؤ"، كما وصفها الرئيس. لقد آن الأوان، في نظره، أن يُقال للأمور بأسمائها، وأن لا تبقى الإدارة محصّنة ضد المحاسبة لمجرد أنها تقنية لا سياسية.

واحدة من أقوى الجمل التي جاءت في الخطاب قوله إن "من طالت بطالتهم أجدر بأن يجلّوا محلّهم،" في إحالة مزدوجة: أولًا، إلى معضلة البطالة التي تخنق الآلاف من خريجي الجامعات، وثانيًا، إلى أداء إداري في بعض المواقع أصبح عبئًا على الدولة لا رافعة لها.

في دولة مثل تونس، حيث يتقاطع السياسي بالإداري، والمصالح الشخصية بالصالح العام، فإن تطهير الإدارة ليس شعاراتيًا بل إنقاذيًا. فلا تنمية بلا جهاز إداري نزيه وفعّال، ولا استقرار اجتماعيا مع تفشي عقلية "نعم ولا... في آن".

الرئيس سعيّد، منذ 25 يوليو – تموز 2021، انتهج مسارًا يعتبره البعض فرديًا ومركزيًا، لكن الخطاب الأخير يُظهر أنه لا يستهدف فقط خصومًا سياسيين، بل يشير إلى مشكل أعمق: دولة متخمة بنُظُم لم تعُد تنفع، ومسؤولو إدارة لم يعد ولاؤهم للمرفق العمومي.

تونس اليوم لا تواجه فقط أزمة اقتصادية، بل أزمة إدارة عمومية. والمواجهة معها لا تكون بالمنشورات الداخلية أو الاجتماعات البيروقراطية، بل بقرارات جريئة تُعيد الاعتبار إلى الفاعلية والشفافية.

من هنا، يمكن فهم لهجة الرئيس التونسي بوصفها محاولة لكسر الجمود البيروقراطي الذي عطّل مشاريع، وأفرغ خططا من مضمونها، وساهم في صنع حالة الإحباط العامة. لن يُسعف التردد في لحظة مثل هذه. الرهان على إصلاح الإدارة ليس شأنًا محليًا فقط، بل مدخل ضروري لاستعادة الثقة الدولية، خاصة في زمن حساس تواجه فيه البلاد تحديات اقتصادية معقدة ومفاوضات مالية دقيقة. حين تبعث تونس برسالة أنها جادّة في المحاسبة، لا تُرسلها فقط إلى الداخل، بل أيضًا إلى شركائها.

وعليه، فخطاب الرئيس سعيد ليس ترفًا لغويًا، بل جزء من استعادة الدور المركزي للدولة كمؤسسة قادرة على إدارة نفسها.. بنفسها، دون أن تُختطف من أطراف تتقن العرقلة وتزدهر في الضباب.

إذا كان الخطاب قاسيًا، فلأنه وُجِّه إلى مرض مزمن. وإذا كان مباشرًا، فلأنه استنفد كل المنعطفات. لقد قرر الرئيس سعيّد أن يُخاطب التوانسة بلا مواربة: الإصلاح لا يتحقق في الندوات، بل بإزاحة من يعيقونه. وهذه ليست قسوة... بل مسؤولية.

المعركة اليوم ليست بين الحكم والمعارضة، بل بين من يؤمن بالدولة كمرفق، ومن يراها مغنمًا. وبين من يزرع في المؤسسة العامة ثقة، ومن يحوّلها إلى مقعد انتظار طويل.

الخطاب في جوهره دعوة للاستفاقة. دعوة لأن تُستعاد هيبة الدولة من خلال الإنجاز، لا من خلال الشعارات. لأن تُحاسَب الإدارة لا على نواياها، بل على نتائجها. لأن يُقال للمواطن: "نراك، ونسمعك، وسننجز من أجلك".

في بلد متعطش للمشاريع، لا يكفي أن نُعلنها، بل يجب أن ننجزها. وفي بلد أنهكته البيروقراطية، لا يكفي أن نُدينها، بل يجب أن نُغيّرها. وهذه هي الرسالة التي حملها خطاب الرئيس التونسي قيس سعيّد، دون مواربة.

وفي وضع مثل هذا، يحق للدولة أن تتكلم.. وقد فعلت. فهل نُصغي؟

دعوة لاستعادة هيبة الدولة

ما بين «مقاومة» حماس ودبلوماسية منظمة التحرير

عبد الكريم عويضة
سفير دولة فلسطين في كوت ديفوار

لقد تريثت كثيرا في تناول هذا الموضوع بهذه المقارنة لما فيه من وجهات نظر مختلفة وفي بعض الأحيان تحمل الكثير من الجدل في ماهية المسار الفلسطيني الأكثر واقعية والأكثر تحقيقا للنتائج.

دعونا نبدأ "بمقاومة" حماس من حيث النظر في المعطيات المختلفة ومقاييس الربح والخسارة.

لقد تشكلت حماس في نهاية الثمانينات لأهداف لم تعد تخفى على أحد، فقد جاءت في ذلك الوقت وبدعم إسرائيلي لتحجيم نفوذ حركة فتح، العمود الفقري لمنظمة التحرير الفلسطينية تحت ستار إسلامي تدعمه حركة الإخوان المسلمين ثم ما لبثت أن حققت نجاحات في وأد عملية السلام التي انطلقت بعد مؤتمر مدريد وتوجت باتفاق أوسلو، وعملت كل ما يلزم من أجل إفشال هذا الاتفاق، ومن ثمة بدأت في اللعب على حبال السياسة الإقليمية والاستفادة منها لتقوية الحركة من جهة ولتشكيل امتداد إضافي لما كان يسمى بالإخوان المسلمين من جهة أخرى.

ومن المعلوم أن قيادات حماس لا تؤمن بالبعد الوطني للقضية الفلسطينية ولكنها تؤمن بالبعد الإسلامي السياسي للقضية حسب رؤية الإخوان المسلمين والتي ليست موضوع حديثنا. المهم أن هذه الحركة اتخذت من البعد الإسلامي ستارا لتمرر عبره كل ما تقوم به واستفادت من التوجه الأميركي في وقت ما لأسلمة المنطقة بمساعدة قوية من دول إقليمية في المنطقة على رأسها إيران.

هذه الحركة خاضت انتخابات تشريعية في العام 2006 بدفع وقبول من الولايات المتحدة وإسرائيل وبمساعدة دول إقليمية وفازت بها، وهذا فتح الطريق أمامها في أن تكون في موقع رسمي يؤهلها ويعطيها بعض الشرعية للحديث نيابة عن الشعب الفلسطيني، ومن ثمة ما لبثت أن انقلبت على السلطة الرسمية والنظام السياسي، وفصلت قطاع غزة عن الجسم الفلسطيني الذي تم تحديد ملامحه في إعلان الاستقلال عام 1988.

ومنذ ذلك الوقت بدأت حماس في انتهاج طريق التحالفات مع الدول الإقليمية ودخلت في لعبة المحاور فخاضت أربع معارك مع إسرائيل تحت شعار "المقاومة"، خرجت منها جميعها منهزمة بل ودمّرت الكثير من مقدرات الشعب الفلسطيني وأسهمت بقراراتها الخاطئة في قتل الآلاف من أبنائه. حتى جاءت المعركة الخامسة والتي تسمى "طوفان الأقصى" والتي عبرت بالفعل ولا تزال عن معنى ما يلاقيه الشعب الفلسطيني كنتيجة مباشرة لهذه الطامة الكبرى وهو أنه في مرحلة الغرق.

فماذا حققت "مقاومة" حماس؟

هناك وجهتا نظر في هذا الموضوع إحداهما تقول إن هذا الطريق أعاد القضية الفلسطينية لتكون القضية المركزية في العالم بعد أن كادت تندثر والأخرى تقول إن هذا الطريق وضع القضية الفلسطينية في وضع لا تحسد عليه وإن إسرائيل استغلت ما قامت به حماس على مدار السنوات الماضية لاسيما منذ السابع من أكتوبر لتنفيذ مخططها الشيطاني في الإجهاز على القضية الفلسطينية وتنفيذ مخططات اليمين المتشدد والمتمثل في أنه لا مكان للفلسطينيين في هذه الأرض، وأن هذه الأرض ملك لشعب إسرائيل بقرار من الرب.

ومن وجهة نظري الشخصية أرى أن حماس قدمت الشعب الفلسطيني كقربان على مذبح رؤيتها في كيفية عودة فلسطين على الساحة الدولية من ناحية وللتأكيد على أنها لاعب أساسي وأنها أيضاً تمثل الشعب الفلسطيني من ناحية أخرى في صراعها الدائم للقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية.

من جانب آخر عبّر قادتها في العديد من المناسبات أن الشعب الفلسطيني وضحاياه ومقدراته ليست لهم قيمة، فهم خسائر تكتيكية وأنهم سوف يقومون بإعادة بناء ما تم تدميره وأن من قتل فسوف يقومون بإعادة إنتاجه مبررين أن عدد المواليد خلال الفترة السابقة يساوي عدد الضحايا ويزيد وأنه لا بأس في ذلك فالمهم أن تبقى حماس!

حماس تريد من الجميع أن يموت ولا تبالي بشعبها ومن يسقط منه، وتبالي فقط بوضعها السياسي وحماية نفسها وما تحققه من مكاسب

وهنا يجب أن نقف ونفكر قليلاً في نظريتين تتعلقان بتحقيق الهدف هما نظرية الموت ونظرية الحياة وأيهما أحق بالإتباع من أجل تحقيق الهدف وهنا علينا تفعيل حساب الربح والخسارة لتقييم هذا الموضوع!

ومن حيث مبدأ الربح والخسارة فإن تقييم نتائج هذه "المقاومة" ونتائج حكم حماس لقطاع غزة منذ استيلائها بالقوة على السلطة في قطاع غزة عام 2007 أصبح ضرورة منطقية لاستشراف المستقبل، فبعملية حسابية بسيطة نجد أنه خلال كل المعارك بين إسرائيل وحماس منذ عام 2008 وحتى ما قبل الطوفان المشؤوم سقط ما يقارب 70000 قتيل وأكثر من 130000 جريح من الجانب الفلسطيني بحد أدنى، (هناك الكثير من المصادر تصل إلى مضاعفة هذه الأرقام)، في حين سقط في حدود 3000 قتيل وما يقارب 10000 جريح من الجانب الإسرائيلي. هذا بالإضافة إلى أكثر من 20000 معتقل فلسطيني خلال نفس الفترة.

ويمثل هذا بالنسبة إلى الفلسطينيين ما يوازي تقريبا عدد القتلى الفلسطينيين منذ عام 1947 ولغاية عام 2008 أي خلال 61 عاما من الصراع، أضف إلى ذلك نتائج الطوفان المشؤوم الذي لا تزال أرقامه في ارتفاع كل يوم، وأعتقد أن هذا مؤشر بسيط وواضح لأيّ قارئ أن يحكم بنفسه وأن يصل إلى نتيجة مفادها أن حماس تؤمن أن السبيل الوحيد لتحقيق النتائج هو الموت من أجل الهدف، وهي لا تريد أن تموت بل تريد من الجميع أن يموت حسب ما تراه، وعليه فهي لا تبالي بشعبها ومن يسقط منه، بل يؤكد بما لا يدع مجال للشك في أن حماس تبالي فقط بوضعها السياسي وحماية نفسها وما تحققه من مكاسب سياسية.

من الناحية الأخرى، نرى الخيار البراغماتي الدبلوماسي الذي حاولت من خلاله منظمة التحرير الفلسطينية، التي تشكلت في منتصف الستينات، وتبنت الكفاح المسلح وسيلة، وكيف تمكنت من الانخراط في المجتمع الدولي وثبتت مكانة فلسطين وشعبها وقادته نحو آفاق تضمن له دولة مستقلة مهما طال الزمن.

وبعد أن خاضت معارك مع الاحتلال قررت تغيير المسار وبدأ ذلك في عام 1988 بإعلان الاستقلال وصياغة الرؤية الفلسطينية والمبنية على أساس حل الدولتين ورغبة المجتمع الدولي وقرارات الشرعية الدولية، فبدأت في عمل دبلوماسي على جميع الجبهات وأدى ذلك إلى اعتراف ما يقارب من 100 دولة بفلسطين في حينه والذي كان له أثره للوصول إلى اتفاق أوسلو.

حماس جلبت معاناة مضاعفة لسكان القطاع

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

رحيقُ غزّة ونبراس الصحافة الفلسطينية

راسم المدهون

أبوغياث يرى أن انقلاب حماس ضرب للمشروع الفلسطيني

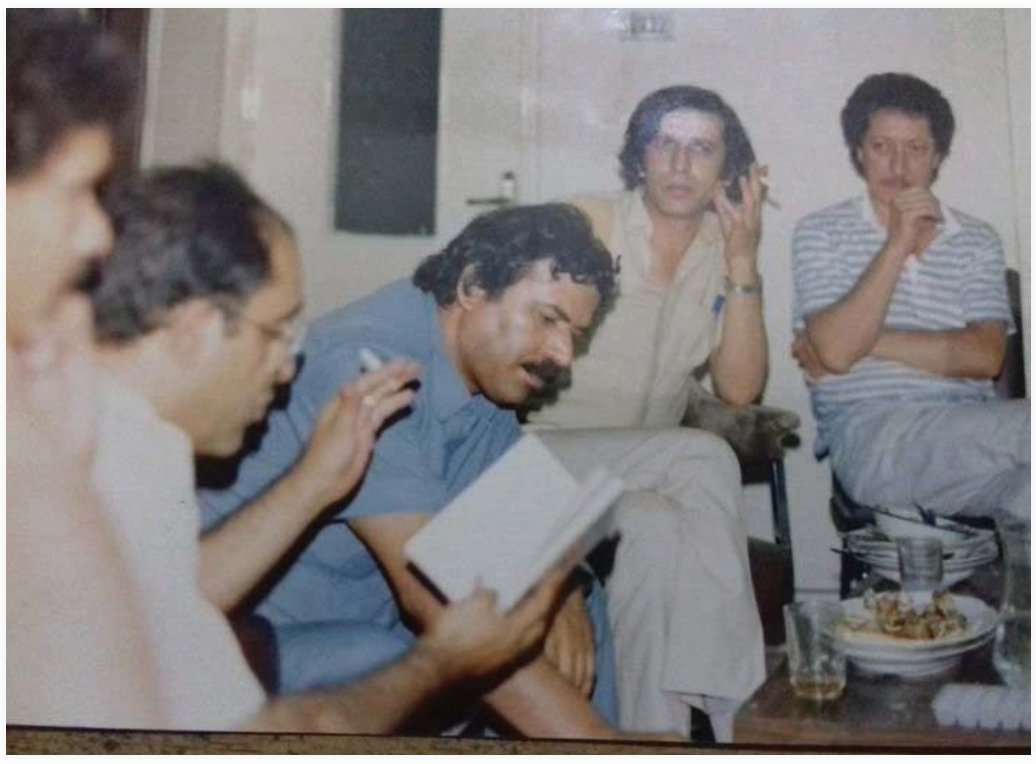

● ذاكرة ممتلئة بالملايين من الصور، كل صورة تحمل تفصيلا يثير في روحه الحنين والأسى

● ورشات شعرية تقوي الحماس للكتابة والإبداع

أوس أبوعطا
صحافي فلسطيني

تعرّش تجربة الشّاعر والنّاقد والصّحافي الفلسطيني راسم المدهون في فناء البيت الفلسطيني الرحب ككرمة عنب تثمر صيفا وشتاءً؛ تظلّل الأقلام الغضّة بالفكر المتنوّر، لتقيه حر التطرّف ولهيب الشّعارات التي يسهل نُطقها ويستحيل تحقيقها.

لا يمكن حصر تجربة أبوغياث بعمله في إذاعة الثورة الفلسطينية في أوائل السبعينات في مطلع الشباب والتقائه مع رموز الثورة الفلسطينية من ياسر عرفات وخليل الوزير وصلاح خلف ونايف حواتمة وياسر عبدربه وجورج حبش وأبوعلي مصطفى والغالبية العظمى منهم وبالأخص ماجد أبوشرار الذي ربطته معه صداقة عميقة خلال عمله في الإعلام الموّحد مع الأخذ بالحسبان أن الشهيد ماجد أبوشرار كان قاصا مبدعا ولا تغيب عن البال مجموعته القصصية "الخبز المر"، وكان دائم المزاح مع الصحافيين في الإعلام الموّحد ويقول لهم "لولا النضال الوطني لتفرغت للكتابة وتفوّقت عليكم جميعا."

غني عن البيان أن راسم المدهون من أبرز الوجوه الصحفية الشّابة لمجلة فلسطين الثورة ومن أشد المؤيدين – قولاً وكتابةً – للبرنامج المرحلي وأشد المعارضين لليمين الفلسطيني المتشدد، يضاف إلى ذلك تأييده المطلق للثورة السورية، حيث فقد ابنه الأصغر غسان خلالها.

المدهون الشّاعر المنحاز لقصيدة النثر والناقد المهم، صاحب الشّعبية الجارفة بين المثقفين والأدباء العرب وأكثر من يسلّط الضوء على المواهب الشّعرية الشّابة.

غزّة أرض البدايات الحالمة

غزة التي نزحت إليها عائلته وأمّه تحمله في قفّة على رأسها وعمره ثلاثة أشهر فقط بعدما ولدته بمجدل عسقلان في العام 1948 وغادر قطاع غزّة وهو في التاسعة عشرة من عمره.

تعرج به ذاكرته إليها، فهي الطفولة والقراءات الأولى وبدايات التعرف على العالم وعلى تفاصيل التراجيديا الفلسطينية.

> غزة تظل أمًا كبرى تحنو على روحه، ورغم ما تَمرُّ بها من آلام لا تزال تحفر عميقا في خلاياه. هي أرض البدايات الأولى الحالمة

الزمن الذي مرّ منذ غادرها يبدو له في الكثير من الأحيان واقفا عندها وممتلئا بها وبالملايين من الصور التي تحمل كل صورة منها تفصيلا يثير في روحه الحنين والأسى معا حسب تعبيره.

وبهذا المعنى تظل غزة أمًا كبرى تحنو على روحه، ورغم ما تمرُّ بها من آلام لا تزال تحفر عميقا في خلاياه كل يوم وكل لحظة. هي أيضا أرض البدايات الأولى، الحالمة، والرومانسية والتي اقترنت كثيرا بالشعر وببدايات كتابته وببساطة وحتى سذاجة تجاربه الأولى التي احتاجت سنوات طويلة كي تنمو قليلا واستطاع أن يثق بها.

ولعل أكثر ما تجذّر بذاكرة الشّاعر؛ الكتب الفريدة التي طالعها في مكتبة خان يونس من الشوقيات والأطلال لإبراهيم ناجي و طبقات الشعراء لابن المعتز وإعجاز القرآن الكريم لمصطفى صادق الرافعي، وكتب عباس محمود العقاد ومجلّد مجلة الرسالة التي أصدرها أحمد حسن الزيات ومنها قرأ قصة بائعة الكبريت الشّهيرة؛ فكانت النافذة الضيقة وشبه الوحيدة للحداثة، أضف إلى ذلك القليل من الكتب التي كان يحضرها شقيقه الروائي المعروف ربعي المدهون أثناء مرحلته الدراسية الجامعية وحين يعود كل صيف من الجامعة في مصر؛ من كتب جان بول سارتر وروايات نجيب محفوظ.

في العام 1972 انضم راسم المدهون لكادر إذاعة الثورة الفلسطينية في مدينة درعا بسوريا، وعمل كمحرر للأخبار والتعليقات السياسية إلى أيلول 1973 حين قام النظام السوري البائد بالاستيلاء على الإذاعة واعتقال المدهون وزملائه وزجّ بهم في سجن المزة العسكري حيث تم الإفراج عنهم قبل أيام قليلة من حرب تشرين 1973، ثم غادر المدهون برفقة كادر الإذاعة سوريا إلى العاصمة العراقية بغداد للعمل في إذاعة الثورة الفلسطينية التي كانت تبث من موجات إذاعة صوت الجماهير العراقية إبان الحرب في 1973.

ثم كان العمل في مجلة فلسطين الثورة التي كانت ناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية وفيها أوائل العمل الصحفي الحقيقي ومنها إلى دورة صحفية لمدة عام كامل في برلين الشرقية، ومن ثم العودة إلى دمشق للعمل في وكالة الأنباء الفلسطينية الرسمية (وفا) لسنوات وبعدها في مجلة الحرية التابعة للجبهة الديمقراطية ومنها إلى العاصمة القبرصية نيقوسيا، حيث العمل في مجلات الحرية والبلاد والأفق، وبعدها العودة إلى سوريا في العام 1992.

واظب على الكتابة في جريدة الحياة الدولية منذ العام 1989 حتى إغلاقها في العام 2018، وهو يعتبرها من أغنى تجاربه الأدبية حيث تميزت بالقليل من الشعر والكثير من مقالات النقد الأدبي والفني من الدراما التلفزيونية والمسرح والسينما. وبما أنه لا يوجد تقاعد في مهنة الكتابة، ما يزال راسم المدهون إلى يومنا هذا؛ يكتب النقد الأدبي بشكل دوري في موقع ضفة ثالثة التابعة لصحيفة العربي الجديد.

لم تخل صحيفة أو مجلة فلسطينية من مقالات أو قصائد راسم المدهون الذي يعتبر أن مجلة الكرمل هي درّة تاج منشوراته الأدبية التي ترأس تحريرها صديقه الشاعر الكبير محمود درويش.

ولا أبالغ حين أقول إن غالبية الصحف العربية وبالأخص الخليجية، كتب فيها المدهون بشكل متفرّق، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، الوطن والعربي في الكويت، والاتحاد في الإمارات العربية المتحدة ونزوى العُمانية وبشكل شبه دائم في المستقبل والسفير في لبنان.

حط الرحال بأبي غياث في حي الضاحية بمدينة درعا السورية منذ العام 1992، التي يعتبرها مرحلة قاسية لتعرّضه فيها لمضايقات مزعجة من أجهزة النظام السوري القمعي، كان أبرزها المنع من السفر، الأمر الذي حال دون مشاركته في المهرجانات الشعرية العالمية رغم تلقيه دعوات رسمية من إدارة المهرجانات، مع الاستدعاءات المتكررة للتحقيق في مراكز الأمن العسكري ومراكز أمن الدولة باتهامات شتى، مثل تهمة العمل مع ياسر عرفات في التسعينات والعمل مع المعارضة السورية قبل الثورة السورية. أمّا بعد انطلاق شرارة الثورة من مدينة درعا، فقد عايش المدهون المعارك العسكرية الخطيرة بين قوات المعارضة والنظام البائد حتى انتصار الثورة السورية وسقوط النظام الشمولي في سوريا.

وكانت سنوات الثورة السورية فترة غنية بكتابة الشعر، حيث كان ولم يزل يعتبر أن كتابة الشعر تحت أزيز الرصاص نوع من مقاومة الحرب ومخاطرها، وقد أثمرت هذه الفترة العصيبة عمّا يقارب ألف قصيدة، أي بغزارة لم تكن من عاداته الكتابية، فهو شاعر مقل، نشر بعضها في مجموعتين شعريتين وما تبقى من قصائد أخرى ما زال ينتظر النشر في مجموعات قادمة.

كتب أكل.. لم يكتب لم يأكل

" كتب أكل لم يكتب لم يأكل" هذه الجملة هي من بنات أفكار الكاتب راسم المدهون في وصف حالته وحالة أقرانه في العمل الكتابي والصحفي.

احترف المدهون الكتابة الصحفية حين كان يبلغ من العمر 22 ربيعا، ولم يمارس مهنة غيرها قط، فكانت مصدر رزقه الوحيد، فساعات عمله تمتد لطوال اليوم من قراءة وكتابة.

ولا يوجد عطل رسمية في الكتابة، وهذا الأمر يعرفه جيّدا من يعملون بالصحافة بوفاء.

ويرى المدهون أن الصحافة تؤثر سلبا على الكتابة الإبداعية، فهو ينصح الشعراء والروائيين والقصاصين بعدم الاقتراب من الصحافة والتركيز فقط على كتابتهم الإبداعية، وأوّل من أخذ بهذه النصيحة وطبّقها قولا وفعلا، ابنه البكر الشاعر غياث المدهون الحائز على جوائز شعرية عالمية والمتنقل في العواصم الأوروبية على عاتق المنح الكتابية الإبداعية التي تقدمها الحكومات الأوروبية للكُتاب المبدعين.

> لم تخل صحيفة أو مجلة فلسطينية من مقالات أو قصائد المدهون الذي يعتبر أن مجلة الكرمل هي درّة تاج منشوراته الأدبية

يعتبر المدهون أن انقلاب حركة حماس في صيف العام 2007 كان البداية العملية لضرب المشروع الوطني الفلسطيني عن طريق شق غزة عن الضفة الغربية بالقوة العسكرية التي ترافقت مع استخدام الدين في السياسة بقصد تأثيم النضال الوطني الفلسطيني الذي سبق حماس، والذي راكم إنجازات حقيقية للشعب الفلسطيني سواء في الانطلاقة الأولى في مطلع العام 1965 أو معركة الكرامة في مارس 1968، أو كل العمليات العسكرية الفدائية التي حظيت بإعجاب العالم الحر وشهدت انضمام الكثير من المتطوعين للثورة الفلسطينية، وكرّست بعد ذلك منظمة التحرير الفلسطينية كحركة وطنية للشعب الفلسطيني وكممثل وحيد له.

شكّل الانقلاب بقصد أو بغير قصد خدمة لأهداف العدو في عدم قيام دولة فلسطينية مستقلة ومنع الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره وبناء دولته المنشودة.

هذا المشروع المضاد للمصالح الفلسطينية العليا جرى دعمه لاحقا من خلال إيران وصولا إلى تأسيس ما يسمّى محور المقاومة؛ وعنوانه الأبرز القفز على منظمة التحرير وإلغاء استقلالية الكفاح الفلسطيني وتحويله إلى مجرّد ذراع لدولة الملالي في طهران، خدمة لمصالحها الضيقة بالاستيلاء على قدسية القضية الفلسطينية ورمزيتها وتسخيرها لخدمة دورها السياسي والمذهبي في منطقة الشرق الأوسط.

"نامي لأحلم" عنوان المجموعة الشعرية الأحدث للمدهون، والتي صدرت عن دار "كل شيء" في حيفا. وتدقيقا بتجربته الشعرية الثرّية، كتب المدهون القصائد النثرية والموزونة في مجموعته الشّعرية الأولى "عصافير من الورد" في العام 1983، واقتصرت كتابته على قصائد التفعيلة في مجموعته الشعرية الثانية "دفتر البحر" في العام 1985 والثالثة "ما لم تقله الذاكرة" في العام 1989 والرابعة "حيثُ الظهيرة في برجها" في العام 2002، ثم الانحياز الكامل لكتابة قصيدة النثر فيما صدر بعد، "أغنية للذبول" في العام 2018 و"نامي لأحلم" في العام 2023. وفي سياق متصل، من يقرأ قصائد المدهون يلاحظ بوضوح بروز الصّوت الدّرامي في غالبية قصائده الشعرية.

وفي تصريح فريد لـ"العرب"، يعتبر الشاعر المخضرم أن جيله الشعري الذي انطلق في السّبعينات هو جيل تميّز بأن النجومية فيه للحركة الشّعرية بمجملها وليست لأصحابها كأفراد بحالة استثنائية وحيدة ألا وهي محمود درويش، وربما بسبب أن الشّعر الفلسطيني تحت ظل هذه الحركة الشعرية، نقل القصيدة الفلسطينية من حالة القصيدة الوطنية إلى حالة القصيدة الإنسانية التي تنطلق من التعبير عن الذات الفردية ووصولا إلى الكُل الفلسطيني على العكس من سابقتها التي أعطت الأولوية للعناوين الوطنية والسياسية.

وباعتقاده؛ بعدما شَهد الشّعر الفلسطيني هذا التطور الملموس أصبح ذا مصداقية أكبر في التعبير عن المأساة الفلسطينية غير المسبوقة في تاريخنا المعاصر.

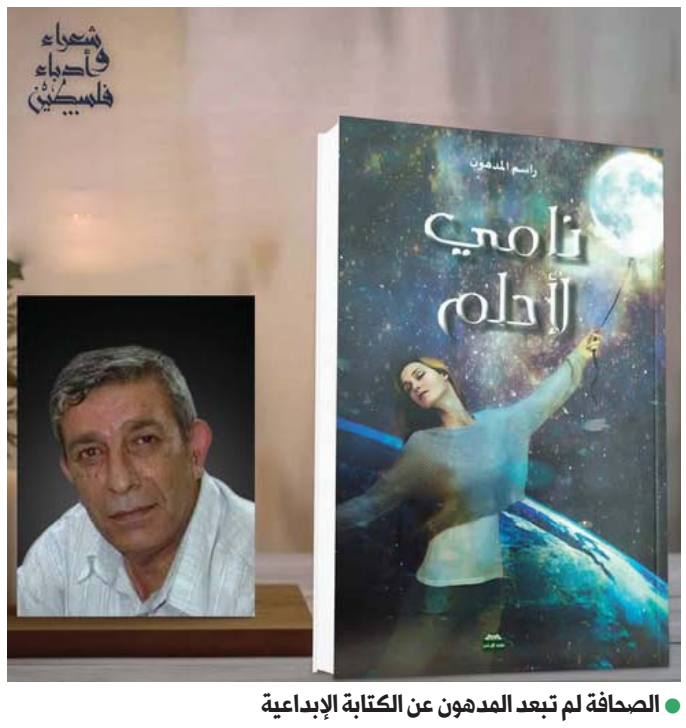

● الصحافة لم تبعد المدهون عن الكتابة الإبداعية

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

حسونة المصباحي يوقف رحلته في «يوم موت سالمة»

كتاب ومثقفون من تونس والمغرب يستعيدون هجرات «طائر الزهرة البريّة»

ودع التونسيون منذ أيام قليلة الكاتب التونسي حسونة المصباحي، الذي أثار رحيله الكتّاب العرب وخاصة المغاربة لما له من كتابات عن المغرب وصداقات فيهـا. الكاتب المثير دائما باندفاعيته وآرائـه ومواقفه، ترك خلفه إرثا أدبيا هاما، لكنه أيضا ترك انطباعات كثيرة في كل من تقاطع معه. "العرب" ترصد بعض هذه الانطباعات عن كتاب وأكاديميين من تونس والمغرب.

صديق المغرب الثقافي الجريء

عبدالله المتقي
كاتب مغربي

رحيل حسونة المصباحي أصيل القيروان، لا بد وأن يترك حزنا في النفس، كاتب متعدد وعاشق للمغرب ومشهده الثقافي، حتى أن هناك من يظنه كاتبا مغربيا، وقد حدث أن التقيته ذات سفرية في شارع بورقيبة بتونس، ولا شيء سوى محبة المغرب تملأه بمجموعه، واعترافا من المغرب الثقافي بهذه المحبة هاهنا شهادات في حق هذه "الزهرة البرية في الأدب والحياة" على رأي حسن طارق.

خارج السرب

يقول الكاتب والناقد المغربي نجيب العوفي "صُورة الراحل حسونة المصباحي، بسُمْرته التي تختزن شمس تونس ونظرته الألمعية – اللوذعية، كافية للدلالة على شخصية ومزاج الرجل. إنها أول علامة سيميائية كاشفة لمعدن الكاتب النفيس ومؤشرة على أسلوبه الطلْق الحار والجريء في الكتابة كما في الحياة سيان. فهو يحيا في الكتابة وبالكتابة كما يحيا في الحياة، بذات السجية والهوية والوتيرة، كما لو أنه 'زوربا' عربي خرج علينا من ريف تونس وإحدى قراها الهامشية."

نجيب العوفي

حسونة يحيا في الكتابة وبالكتابة كما يحيا في الحياة

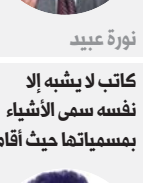

نورة عبيد

كاتب لا يشبه إلا نفسه سمى الأشياء بمسمياتها حيث أقام

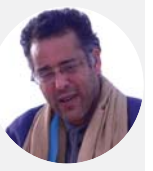

نور الدين بالطيب

كاتب جريء وشخصية طريفة عاش الحياة بامتلاء كبير

وبين أن تونس على الدوام رحم ولود للمفاجآت الجميلة في الأدب والفكر والسياسة، مضيفا "أعتز شخصيا بصداقات ولقاءات رائعة يانعة ربطتني بجلة من أدبائها وأسمائها اللامعة، الطاهر الهمامي وعبدالسلام المسدي ومنصف الوهايبي وفاطمة بن محمود إلى أحبة آخرين.. لم ألتق بحسونة المصباحي إلا في خلس نادرة، لبعده عن الديار، فهو طائر الأدب التونسي كما سارت بوصفه الركبان. ولكنني التقيته وصافيته وخبرته وسبرته عبر أعماله الأدبية، القصصية والروائية بخاصة، التي فتحت لي 'علبته السرية' وكشفت لي شخصيته وعالمه وهمومه. وخير جليس في الزمان كتاب، كما قال المتنبي. وبالتالي فخير مُخبر عن الكاتب كتابه."

ويتابع العوفي "حسونة المصباحي في تصوري، عاش حياته بالطول والعرض طائرا في غير سربه، طائرا خارج السرب، مغامرا ومهاجرا في جُغرافيات العالم، لا يرسو على ساحل إلا ليرحل عنه صوْب آخر، في رحلة تيه أوديسية ووجودية بهيجة، لملم بعض شتاتها ومحطاتها كتابه الجميل 'كتاب التيه'، كما جسدها في الكثير من أعماله الروائية كرواية 'على أرصفة الشتات'. وقد أثمر هذا التيه أعمالا أدبية ثرية بهية في المكتبة العربية. وهي الامتداد المفتوح لاسم حسونة المصباحي."

"طائر هو خارج السرب" يقول الكاتب والناقد المغربي، موضحا "أعني بهذا، أنه عاش في بلده تونس وبين آله وعشيرته على قلق ومَضَض، وغادر وطنه مُكرها لا بطلا وفي نفسه شيء من الوطن. عاش في مهجره ألمانيا، طائرا في غير سربه وعشيرته، وإن وجد فيها سَكنه ومُنتجعه الأدبي والحضاري. لكن بقي فيه دائما شيء من الوطن. لقد كانت ألمانيا حديقته الخلفية البديعة التي أوى إليها، وتقبلت 'هلوساته الترشيشية' وهمومه وحماقاته الطفولية المتحررة التي ظلت تلازمه وتنْزُو به في كهولته، ما يؤكد نقاء وبهاء وعفوية سريرته وطويته."

ويشير العوفي إلى أن عظمة حسونة الإبداعية، القصصية والروائية، أنه في عُمق المركز الغربي كان يطوف برُبوع بيئته التونسية وهوامشها، ويتمسح بأركانها، ويتشمم ترابها وأناسها، وينبش في تفاصيلها وخباياها. ولا غرو، فأول رواية عربية رائدة وماهدة "زينب"، كتبها محمد حسين هيكل عن ريف مصر، وهو مُعتكف في أحد فنادق باريس. والمفارقة هنا بقيمة مُضافة ومُضاعفة أن يكتب عن بلده تونس وهو في ألمانيا. وأن يكتب عن ريف وهوامش وأطراف بلده، في الأغلب الأعم، وهو بين الأرصفة والجدران الإسمنتية في أوروبا. لعلها نوستالجية جياشة في الجوانح، ولعلها نزعة تطهيرية (catharsis) للروح ومصالحة بين الذات المهاجرة (بكسر الجيم) والوطن المهاجَر (بفتح الجيم).

ويتابع "في مأثور الكلام، اغتربْ تقتربْ. كتب حسونة المصباحي القصة القصيرة كما كتب الرواية، وكان مُجليا ومُجددا في كليهما معا. في القصة القصيرة كانت الهوامش والأطراف المنسية والسرية الموشومة بالعمق التونسي ضالته ومادة حكيه، وكأنه يستعيد ويستلهم التعريف الشهير لمُنظر القصة القصيرة فرانك أوكونور في كتابه الرائد 'الصوت المنفرد/ دراسات في القصة القصيرة' حيث يعتبرها صوت المهمشين والمقهورين والمُنفردين."

يضيف "وأنا أتحدث لمحا عن حسونة المصباحي القاص، أسوق هنا شهادة عميقة للكاتب الأسترالي – الجنوب أفريقي جون ماكسويل كوتزي في سنة 2000 حول قصة 'السلحفاة' الواردة في مجموعة الكاتب القصصية 'حكاية جنون ابنة عمي هنية'، حيث يقول: 'هي واحدة من أفضل النصوص القصصية في القارة الأفريقية'. كما أسوق عطفا شهادة راقية لخبير القصة العربية القصيرة يوسف إدريس 'يكفي أن تقرأ قصة واحدة لحسونة المصباحي، لكي تعرف كيف يعيش الإنسان التونسي وكيف يفكر وما هي حكاياته وأساطيره الخاصة'. والشهادتان مُستقتان من بعض المواقع الإلكترونية."

ولعل الرواية، في رأي العوفي، هي المجال الأرحب والأخصب الذي استوعب هموم وأشواق وأفكار وأسئلة حسونة المصباحي الساخنة – الجريئة، وهي الجنس الأدبي العابر للأجناس، الذي مارس فيه بحرية واعية شغبه الإبداعي. لذلك فنصوصه الروائية بقدر ما هي محافل سردية طافحة بزخم الحياة والواقع، هي في الآن ذاته محافل ثقافية طافحة بأصداء ورجع الفكر والأدب والفن.

ويختم "أزعم ختاما، أن حسونة المصباحي الذي جاءنا بين مفترق قرنين، الألفية الثانية وطلائع الألفية الثالثة وصعود العولمة، كان محطة أدبية ضرورية لنلتقط عندها الأنفاس ونستقبل بعض الهواء الأدبي العليل، بعد أن امتلأ فضاء العولمة بكثير من الغبار الأدبي."

تقول القاصة والروائية التونسية نورة عبيد "فقدت الساحة الأدبية والثقافية التونسية الكاتب حسونة المصباحي وقد أعشى ليل 04 – 06 – 2025 بعد صراع مع المرض. ولم يكن حسونة المصباحي غير حسونة المصباح الصبوح. إذ قرر حين حصحص فساد البدن إيقاد الذهن والروح وإيقاظ 'يوم ماتت سالمة' رواية اليوم كتبت في الثلاثة الأشهر الأخيرة من حياته. ونشرت قبل فيض الروح بأسبوع."

وتضيف "إنه هو فقط لا شبيه له. سمّى الأشياء بمسمياتها حيث أقام. وسبح بين الأجناس الأدبية قادرا على التمرد إذ اقتدر على الخلق والابتكار، ممتلكا صوابه وهو يسخر من عقدة 'الحبكة' التي تخبط فيها الآخرون. عاش خارج القطيع وانتصر للريف التونسي هاربا من العاصمة وأمراض مثقفيها. لم يكن من الآخرين إذ كتب الآخرون، كان هو بكل كونه واستحالته."

يقول الشاعر والإعلامي التونسي نورالدين بالطيب "هكذا ودعنا حسونة المصباحي في هدوء وسلام بعد أن 'ملأ الدنيا وشغل الناس'، إذ اختار من البداية خيارا صعبا في مجتمع عربي لا يؤمن بالكاتب ولا يحترم الخارجين عن السرب، فقد عاش وحيدا متفرغا للكتابة التي لم يتزوج غيرها كما فعل صديقه الكاتب المغربي محمد شكري، وبوفاته تخسر الثقافة العربية كاتبا كان عالي الصوت، فجرأة حسونة وصراحته ومواقفه الخارجة عن المعتاد أحيانا ونقده الدائم للمؤسسة الثقافية الرسمية وخاصة للمؤسسة الأكاديمية جلبت له الكثير من العداء والإقصاء الذي عانى منه في بلده."

ويضيف "كان حسونة المصباحي شخصية طريفة عاش الحياة بامتلاء كبير وأقبل على ملذاتها قبل أن يخفت صوته بسبب المرض ويختفي نهائيا مساء الأربعاء وسيدفن في البيت الذي بناه حسب وصيته وسيتحول البيت إلى مكتبة مفتوحة لأطفال وشباب القرية الصغيرة في أرياف القيروان. وداعا حسونة لا صخب بعد اليوم."

الكاتب التونسي محمد بوحوش يذكر أن حسونة المصباحي أديب عاش حرا، واختار حرفة الأدب، فكتب في شتى الأجناس، وشاع اسمه وطنيا وعربيا ودوليا. ويشير إلى أنه لم تكن تربطه به صلة شخصية، إذ قابله ثلاث مرات عرضا وتبادلا التحية، لكنه قرأ له الكثير من أعماله، وأعجبه سرده السلس الممتع والممتنع الذي ينم عن أديب موسوعي ذي ثقافة واسعة. ولم يكن الفقيد يكتب ليسرد قصة أو حكاية، بل كان يعرض خلفية ثقافية مشبعة.

محمد بوحوش

لم يكن يكتب ليسرد قصة بل ليعرض خلفية ثقافية مشبعة

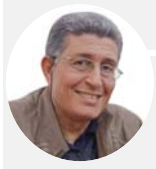

عبدالمجيد بن البحري

في أعمال المصباحي ارتسمت صورته المتحرر التنويري الجريء

شفيع بالزين

حياة حسونة المصباحي كانت شكلا من أشكال التدرب على الموت

ويضيف "غير أني وإنْ لم أكن على معرفة ذاتية بشخص الرجل وطبعه ومزاجه فإنني مطلعٌ اطلاعًا واسعًا، أو هكذا أزعم، على عوالمه الروائية ومناخاته السردية ومغامراته القصصية. وقد أتاح لي هذا الاطلاع تكوينَ صورةٍ شخصية (أو 'بورتريه') عن الفقيد تُستصفى مادتُها الأساسية من كتاباته العديدة والمتنوعة في مجال الإبداع الأقصوصي والروائي التخييليين، وفي أشكال الكتابة الذاتية المرجعية أو أجناس 'الأدب الحميم'، كاليوميات والرسائل والرحلات والسيرة الروائية والتراجم أو السير (الغيرية) وأدب البورتريه وغيرها... فضلا عن مقالاته الصحفية وحواراته وشهاداته وترجماته العديدة."

ويشير البحري إلى أنه وقد ارتسمت في أعمال المصباحي صورة ذاتٍ منافحة عن الحرية والتنوير والعقلانية، مناهضة للأصولية والتعصب و"الإسلام السياسي" بتلويناته المختلفة، ميّالةٍ إلى العزلة والانطواء على النفس واكتناه أغوارها الخبيئة، نزاعة إلى السفر والارتحال في مشارق الأرض ومغاربها، منقطعةً عن أوهام المثقفين الزائفين ونفاقهم ونرجستيهم المرضية وسطحيتهم وتبجحهم... ذاتٍ مغتربة مسكونة بشغف القراءة والكتابة لا ترى خلاصها إلا في الكتابة وبالكتابة، فهي الملاذُ من غربة الروح والفكر، وهي الملجأُ لأوجاع النفس وجراحاتها، وهي البديلُ عن "القفص العائلي" والمهربُ من "القطيع المطيع".

ويضيف "لقد تعلم المصباحي منذ بداية نشأته أن يعيش 'منفصلا عن القطيع وأن يكون متوحدا بذاته'. وهذا ما عبر عنه فقيد الأدب التونسي والعربي في إحدى يومياته قائلا: 'سأواصل الكتابة لأني بدونها لن أتحمل العيش على سطح الأرض. وليس مهمًا أن ينصفني التاريخ أو لا ينصفني، فقد أنصفت نفسي بنفسي ولا فضل لأحد علي'، (يوميات الحمامات، ص: 73). ولذلك لم يترك حسونة المصباحي قلمه إلى آخر أيامه فغادرنا إلى عالم أفضل وأرحب تاركا لقرائه آخر رواية صدرت له قبل وفاته بأيام معدودات وهي 'يوم موت سالمة'."

ينطلق الأكاديمي التونسي شفيع بالزين من قولة لمحمود درويش "كل الذين ماتوا نجوا من الحياة بأعجوبة،" ويرى أن هذا القول قد يصدق على الكثير من الكتاب الذين عاشوا الحياة بشكل درامي، وحسونة المصباحي واحد منهم طبعا، غير أن المدهش فيه أنه لم ينج من الحياة بالموت وإنما عاش مبدعا ومات مبدعا، أو بعبارة أدق عاش الحياة والموت بشكل إبداعي، وإذا كان محمد لطفي اليوسفي يقول عن الشابي إنه كان يقيم في الأرض على نحو شعري، فإن حسونة المصباحي غادرها أيضا على نحو شعري.

ويضيف "إن العديد من المبدعين الكبار– وحسونة المصباحي واحد منهم – حتى وإن عاشوا بشكل عادي فإنهم يموتون بشكل جمالي ويجعلون موتهم آخر قصيدة أو رواية يكتبونها، أو يحدسون موتهم قبل أن يباغتهم فيكتبونه إبداعيا ويتغلبون عليه بالفن فيخلدون، ألم يقل درويش هزمتك يا موت الفنون جميعها؟ ألم يرث أو ينع كبار الشعراء أنفسهم كما فعل مالك بن الريب والمتنبي ودرويش ولمخوب العياري والصغير أولاد أحمد وغيرهم؟ لقد فعلها أيضا حسونة المصباحي بطريقته الخاصة كعادته، حين مات بعد أن نشر روايته الأخيرة 'يوم موت سالمة' وهو في الواقع يكتب موته أو يهزمه وقد قال عنها: هذه الرواية متعددة الأصوات أنهيتها في ظرف ثلاثة أشهر فقط رغم المعاناة مع المرض." ويتابع بالزين "كان يستعجل الكتابة لأنه يعرف أن الموت كان يستعجله.

يقول فتحي الخراط عن موته 'أمكن له أن يجعل الموت يتلكأ قليلا في مداهمته في الأسابيع الأخيرة حتى يكمل روايته الختامية 'يوم موت سالمة'، ويقول كمال العيادي الكينغ "حلمه القديم قد تحقق أخيرًا والمتمثل في صدور رواية 'يوم موت سالمة' التي يعتبرها روايته الأخيرة (...) سيموت حسونة المصباحي بالتأكيد مثلنا جميعا ولكن سيكون العلامة الوحيدة الباقية من بين كل القبور،" ويقول عنه حسن بن عثمان "كانت الكتابة الأدبية رهان حياته إلى آخر رمق،" ويقول صالح السباعي "لقد هزمكم حيا وميتا... قد مات منتصرا... مات واقفا مثل نخل الجريد."

وفي رأي الأكاديمي التونسي قد تؤخذ هذه الشواهد على محمل الصور الرثائية المجازية التي تقال في كل مبدع مَرثي، ولكن حسونة المصباحي في الواقع هو هذا فعلا، ومن لا يصدق فليقرأ ما قاله عنه الناشر الحبيب الزغبي "كان حسونة يعلم أنه سيموت قريبا وكان يتحاور مع الموت على فترات النهار والليل ويجهز نفسه للرحيل. آخر مرة هاتفني فيها ليعلمني أنه بصدد الانتهاء من روايته الأخيرة، نعم هكذا قال لي: 'يوم موت سالمة' ستكون روايتي الأخيرة لأنني سأموت بعد إتمامها، لذا أرجو منك أن تراجعها أنت ولا أحد غيرك، كما أرجو أن تنشرها قبل موتي لأنني قلت فيها كل شيء'."

ويتابع بالزين "وماذا يفعل بالحياة وينتظر منها من قال في رواية كل شيء؟ ومع ذلك فمن لا يصدق ما قاله الناشر فليقرأ ما قاله الكاتب نفسه في روايته الأخيرة: 'نعم... لا بد أن يعود... والعودة ستوفرُ له فرصةَ التدرب على الموت الذي بات وشيكا. وكما عبّر عن ذلك الإيطالي بلوتارخ: وحده الإنسان الحر تكون له القدرة على مواجهة الموت، الذي ينتظرنا في كل مكان. والتدرب على الموت يُحررنا من العبودية، ومن كل تبعية ومن كل شكل من أشكال القهر. وإذن سيعود." هكذا قال حسونة المصباحي عن الموت في رواية "يوم موت سالمة" قبل موته. ولم ندرك إلا الآن أن حياة حسونة المصباحي كانت شكلا من أشكال التدرب على الموت، ولذلك عاش حرا ومات حرا.

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

«من وجهة نظر الفراشات» معجم شعري لتعريف العالم

عذاب الركابي يمنح معاني جديدة للأطفال والشعراء والطغاة وغيرهم

يعي الشعراء المعاصرون بشكل جذري أن الشعر في جوهره هو إعادة تعريف للعالم والإنسان، لعل من خلال ذلك يستطيعون حماية الإنسانية من فراغ المعنى والخواء والفناء البارد في عجلة الاستهلاك والصراعات والانبتات وغيره مما يهدد الإنسان. الشاعر العراقي عذاب الركابي اختار توجها شجاعا في إعادة تعريف جزء هام من الوجود.

أحمد فضل شبلول
كاتب مصري

يختلف مفهوم "الكتابة من نقطة الصفر" من كاتب لآخر، فـ"الكتابة من نقطة الصفر" عند نجيب محفوظ، تعني أنه عندما يبدأ الكتابة لا يكون في ذهنه أكثرُ من الرغبة في الكتابة، فلا موضوع ولا مضمون ولا حدث ولا شخصية. وفي هذه الحالة فإن الكلمةَ الأولىٰ هي التي ستؤدي إلىٰ الثانية، فإذا بدأ بكلمة "خرج فلانٌ من بيته.." فالله وحده يعلم بما يأتي بعدها.

أما مفهوم "الكتابة في درجة الصفر" عند رولان بارت، الذي ينقل عنه عند عذاب الركابي، فهي الكتابة "اللاتحديد" و"اللاقواعد" فكل نص يخلق قواعده الخاصة بنفسه. وبالتالي لا شكل للقصيدة، ولا شكل للرواية، ولا شكل للكتابة، فـ"الكتابة رفضُ الكتابة" بتعبير موريس بلانشو.

الكتاب يعيد تعريف الأشياء والعلامات من وجهة نظر شعرية أو إبداعية بعيدا عن التعريفات المستقرة أو المتداولة

ومن هنا جاءت نصوص عذاب الركابي في كتابه "من وجهة نظر الفراشات" الذي كتب علىٰ غلافه "ديوان"، وكلمة "ديوان" تصرف الذهنَ مباشرة إلىٰ ديوان الشعر، ففي مجال الكتابة نحن لا نصف الرواية، أو المجموعات القصصية أو المسرحيات – حتىٰ لو كانت مسرحيات شعرية – بأنها "ديوان". الديوان هو ديوان الشعر. ونتذكر مقولة "الشعر ديوانِ العرب"، مع أن هناك من يرى أن الروايةَ الآن هي "ديوان العرب."

أطفال ونساء

احتوى ديوان "من وجهة نظر الفراشات" لعذاب الركابي علىٰ 21 نصًا، يعيد فيه تعريف الأشياء والعلامات من وجهة نظر شعرية أو إبداعية محضة، بعيدًا عن التعريفات المستقرة أو المتداولة أو المتعارف عليها، ومن هنا تأتي شعرية هذه الأوصاف والتعريفات الخبرية التي تخلو من الإنشائية كما أشار د. بهاء حسب الله في دراسته عن الديوان، والتي تفاجئنا بمدلولات جديدة كامنة فيها، ولكننا لم نحاولْ النظر إليها بنظرة الشاعر، أو بنظرة الطائر، أو بنظرة الفاحص المدقق للمعاني المتوارية خلف الحروف. فالطفولةُ في المعنىٰ الاصطلاحي هي "المرحلة العمرية بين الرضاعة والبلوغ". ولكنها عند عذاب الركابي هي الحياة في اللازمان.

الطفل في معجم أكسفورد – علىٰ سبيل المثال – هو المولود البشريّ حديث الولادة حتىٰ يبلغ سنَّ الرشد، وينطبقُ ذلك علىٰ الذكر والأنثىٰ، وتُدعىٰ المرحلة التي يعيشها الطِّفلُ، مرحلة الطفولة. والطفل في اللغة العربية هو "المَوْلُودُ ما دامَ نَاعِمًا رَخْصًا". وفي المعجم الوسيط "الطِّفْلُ الولدُ حتىٰ البُلُوغ، وهو للمفرد المذكر". وفي القاموس المحيط "قَدْ يَسْتَوِي فِيهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالْجَمْعُ". وفي لسان العرب، الطفْلُ: الصَّغيرُ من كل شيء، أو المَوْلودُ. وفي القرآن الكريم "وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" (سورة النور، الآية 59).

أما عند عذاب الركابي فالأطفال: يخزنون أمانيَّهم في قرص الشمس، ويلعبون بمشاعر الوقت في اللامكان. يمازحون نهارًا القمر.

والأطفال عند الركابي لهم رأي رديٌّ في العالم، من دون أن يغادروا رحم البراءة أبدا. هم كتابُ فرحٍ وألفةٍ بنفسجيّ السطور.

ولعلنا نتساءل: لماذا هذا الكتاب بنفسجي السطور، لماذا "البنفسج" وليس لونًا آخر؟

تدلنا موسوعة ويكيبيديا الحرة أن "البنفسجي" هو لون الاعتدال، ينتج عن كميات متساوية من اللونين الأحمر والأزرق. ويعتبر هذا اللون رمزًا للوضوح، ونفاذ البصيرة والعمل العاقل والتوازن بين الأرض والسماء، هو لون الحواس والروح والشغف والذكاء والحب والحكمة.

ولعل أطفال عذاب الركابي – في هذا النص – يمتلكون كل هذا الصفات التي يمتلكها اللون البنفسجي. هذا هو التعريف الشعري للطفل والطفولة والأطفال عند شاعرنا. فهل تجرؤ معاجمُنا وموسوعاتُنا وقواميسُنا الورقية والإلكترونية علىٰ إدراج مثل هذا التعريف في صفحاتها؟

أما "النساء" فهنَّ صوت الأنوثة عند الركابي، وهنَّ في المعاجم العربية، جمع امرأة (جمع من غير لفظه). وإناث من البشر، خلاف: رِجال. وقيل إن كثرةَ النساءِ وقلَّةَ الرجالِ علامة علىٰ اقتراب الساعة.

وعند الركابي: هنَّ هدير الوجود، وقبَّة الحب والشهوة الطاغية لامتلاك كل شيء، ما فوق الأرض، وما في السماء من شموس وأقمار. والماضي والحاضر والآتي رهْنُ إشارتِهن. هنَّ كاهناتٌ معبدُهن الحياة.

هل يكتفي الركابي بهذا القدر من تعريف النساء؟ لا لم يكتفِ بهذا القدر، ولكنه يضيف في تعريفه للنساء: إنهن ماكنة خلاف، ضد الضد، لا تعرف ما في رؤوسهن المترنحة، وهنَّ في حلف دهريٍّ مع المجهول. ينسينَ تمامًا، أنَّ تجاعيدَ قلوبهن وراء كل هذه التجاعيد في وجوههنَّ.

وتكررت لفظة "تجاعيد"، تجاعيد القلوب وتجاعيد الوجوه.

ويُرجع الشاعر تجاعيد الوجوه إلىٰ تجاعيد القلوب، وهي رؤية صوفية داخلية، معنية بتأثير الداخل علىٰ الخارج، أو تأثير الباطن علىٰ الظاهر.

وعلىٰ ذلك نستطيع أن نخلص إلىٰ أن كل المظاهر الخارجية التي نراها لدى الإنسان عمومًا، والنساء خصوصًا، تنبع من تأثير الداخل أو الباطن علىٰ مظهر الإنسان الخارجي. وأرى أن بيت إيليا أبي ماضي (1889 – 1957) في قصيدته "فلسفة الحياة": "أَيُّهَذا الشاكي وَما بِكَ داءٌ ** كُن جَميلاً تَرَ الوُجودَ جَميلاً." ينطلق من داخل الإنسان، فإذا كان الإنسانُ جميلا من داخله، سيرى الوجودَ كلَّه جميلا.

ونستعيد بيتًا آخر من قصيدة إيليا أبي ماضي يقول فيه: "وَالَّذي نَفسُهُ بِغَيرِ جَمالٍ ** لا يَرى في الوُجودِ شَيئاً جَميلا".

إن الشاعر المهجري – الذي عاش في الإسكندرية سنوات عدة يبيع السجائرَ في دكان عمه (1900 – 1911) وفيها أصدر ديوانَه الأول "تذكار الماضي" – يُرجع الأمرَ إلىٰ النفْس، أي إلىٰ الداخل، وهي نظرة صوفية رومانسية فلسفية عميقة.

ونحن نرى أن تجاعيد نساء الركابي تنطلق من تلك الرؤية الصوفية الفلسفية العميقة، فما في الداخل ينطبع علىٰ ما في الخارج، ما في النفس ينطبع علىٰ الوجه، وكأن الوجهَ هنا، مرآةٌ تعكس ما في أعماقِها.

إن تجاعيد الداخل ربما تكون أشد قسوة وأكثر إيلامًا، وربما أشد وضوحًا وكثافةً، من تجاعيد الخارج. التجاعيد الخارجية عادة ما تظهر نتيجة الشيخوخة، أو نقص الماء في الجسم، أو أضرار أشعة الشمس، والتدخين، وغير ذلك من العوامل المختلفة التي من الممكن علاجُها. أما التجاعيد الداخلية فهي تأتي نتيجة تراكمات نفسيَّة وتعقيدات روحيَّة يصعب علاجُها سوى بإدخال حالات السرور وعلامات السعادة علىٰ النفس البشرية، فيعود الوجه والجسم عمومًا، إلىٰ شبابه ورونقه ونضارته.

ولكن نساء عذاب الركابي ينسين تمامًا، أن تجاعيد قلوبهن وراء كل هذه التجاعيد في وجوههن.

الشعراء والروائيون

علىٰ هذا النحو تمضي نصوص عذاب الركابي في ديوانه "من وجهة نظر الفراشات"، وكأنه معجم تعريفي شعري لبعض الكلمات المتداولة في حياتنا، ومن هذه الكلمات "الشعراء". وهم الذين قال عنهم المولىٰ عزَّ وجل "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ"، (سورة الشعراء، الآيات 224 – 226). وهم عند عذاب الركابي: جند النبوءة، مهندسو الحلم الإنساني المتلألئ، مشعوذون وقديسون في آن.

وهم من وجهة نظره: يكتبون وينكتبون، في سعي دؤوب لتجميل الحياة، وتأجيل نهاية العالم. ودائما يضعون أنفسَهم من وجهة نظر الفراشات.

ومن العبارة الأخيرة يبزغ عنوان الديوان "من وجهة نظر الفراشات"، وهي عبارة ستتكرر بعد ذلك ولكن "من وجهة نظر الأنهار والسيول والأمطار."

إذن الشاعر يكتب من وجهة نظر الطبيعة، وعلاقتها بالشعر، والتي قال عنها أمير الشعراء أحمد شوقي: "إن الشعر ابن أبوين: الطبيعة والتاريخ." وقد تحقق هذا لشوقي. ونرى أن الطبيعة تتجلىٰ في نصوص الركابي بعامة، وليس في هذا الديوان فحسب، فالشعراء من وجهة نظر الركابي يصفون أنفسهم من وجهة نظر الفراشات أي من وجهة نظر الطبيعة.

وللفراشات، هذه الكائنات الدقيقة الرقيقة الملوَّنة، دورٌ مهم في حياة الإنسان، فهي تُلقح الزهور، وبدونها لا نستطيع الحصول علىٰ ثمار أو بذور بعض المحاصيل.

عذاب الركابي يقدم تعريفات معجمية وتفاعلات وتخريجات وشروحات وتأويلات شعرية وعاطفية وواقعية ورمزية في مناخ تجريبي

وهناك ما يسمىٰ "أثر الفراشة"، وهي فكرة مفادها أن الأشياء الصغيرة يمكن أن تكون ذات تأثيرات متفاوتة علىٰ نظام معقد، وقيل إن رفرفة جناح فراشة في الصين – علىٰ سبيل المثال – من الممكن أن يكون لها أثرٌ في أميركا. وأرى أن كلمة الشاعر الصادقة من الممكن أن يكون لها أثرٌ مثل أثر الفراشة، وقد رأينا تأثير بيت أبي القاسم الشابي الذي توفي عام 1934 عن 25 عامًا: "إذا الشعبُ يومًا أراد الحياةَ ** فلا بدَّ أن يستجيبَ القدر"، في ما عرف بثورات الربيع العربي. أو تأثير بيت مثل: "وطني لو شغلتُ بالخُلدِ عنه ** نازعتني إليه في الخُلدِ نَفسي" لأحمد شوقي الذي رحل عام 1932 في ما يعرف الآن بالمواطنة.

نذكر أيضا تأثير بيت إيليا أبي الماضي السابق ذكره، وحضوره حتىٰ تلك اللحظة. هذه ليست أبيات شعر، ولكنها فراشات حية تترك أثرها في الطبيعة والتاريخ.

إذا كان هذا هو تعريف الشعراء من وجهة نظر الركابي، فما تعريفه للروائيين؟

يقول في نص "الروائيون" إنهم: صُنَّاع الحكاية – الحياة، وهي تتناسل حكايات.

يلفتنا هذا الاختلاف في تعريف الشعراء وتعريف الروائيين، فالشعراء هم جُند النبوءة، بينما الروائيون هم صُنَّاع الحكاية. وفرق كبير بين النبوءة والحكاية. الشاعر عند الركابي إذن إنسان رسولي، هو لا يتنبأ، ولكنه يحمل النبوءة باعتباره جنديًا من جنودها، وكأن همسات الشاعر هي همسات نبي، ما يدل علىٰ أن الشعر الحقيقي ما هو إلا موهبة علوية، وأن لحظةَ إبداع القصيدة هي لحظةٌ إلهية بامتياز.

أما الرواية فتتحكم فيها الصنعة، علىٰ الرغم من أن أبا هلال العسكري (920 –1005) أطلق لفظ الصناعتين علىٰ الشعر والنثر، والرواية تدخل في باب النثر.

وعند الركابي، فإن الروائيين هم صنَّاع الحكاية، والحكاية هي الحياة، فهم إذن صنَّاع الحياة، ويلفتنا "الصنعة" أي القدرة علىٰ صناعة الأحداث والشخصيات والمواقف واختيار الزمان والمكان، والروائيون يعقدون صداقة بين الواقع والخيال، وهم في الوقت نفسه: أبطالٌ في لي عنق التاريخ، ومحو كل خطوة زائفة.

هنا نجد المفارقة، فمَنْ يلوي عنق التاريخ، بالتأكيد هو مزيِّفٌ لهذا التاريخ، كمن يلوي عنق الحقيقة. ولكن الروائي قادر علىٰ محو الخطوة الزائفة. فهو لديه القدرة علىٰ التزييف ومحو هذا التزييف في الوقت نفسه. وأنا لا أسميه تزييفًا، ولكن اسميه تخييلا، فالروائي قادر علىٰ التخيُّل والعلو علىٰ الواقع من خلال الفانتازيا والعجائبية والغرائبية والواقعية السحرية حيث يسمو الخيال ويتعملق، ثم الارتداد إلىٰ الواقع مرة أخرى ومحو مثل هذا الخيال. وقديما كان العرب يطلقون علىٰ هذا النوع الأدبي القادر علىٰ صناعة الحكايات وسردها، "تكاذيب الأعراب"، وفي كتاب "الكامل في اللغة والأدب" للمُبرِّد، باب بعنوان "تكاذيب الأعراب." إن الروائي لديه القدرة علىٰ اللعب بالكلمات والأفكار والأخيلة والأقدار والمصائر، واللعب أيضا بالأزمنة والأمكنة، كل هذا يُعطي الروائي القدرة علىٰ لي عنق التاريخ، ويعطيه أيضا القدرة علىٰ محو كل ما هو زائف.

وإذا كان شوقي قال إن "الشعر ابن أبوين: الطبيعة والتاريخ"، فإن الركابي – في تعريفه – يرى أن السردَ ليس أبا التاريخ. وإنما هو لحظةٌ كشف وكيمياء إلهية، وهو يقترب بذلك منَ الشعر، والسارد ليس مؤرخًا بطبيعة الحال، بل مستكشفٌ للوجود.

الرسامون والعشاق

أما "التشكيليون"، فهم الملائكيون في الترتيب البليوغرافي للحالمين. وإذا كان الشعراء هم جند النبوءة، فإن التشكيليين هم الملائكة. تُرى هل هناك فارق بينهما؟

التشكيليون قادرون علىٰ إيقاف عجلة الزمن والانتصار عليه، عن طريق الصورة أو الرسم أو اللون، بينما الشعراء قد لا يستطيعون ذلك. أيضا التشكيليون لديهم تأملات نبوئية جميلة، ذلك أن الرسَّام صائد أحلام، والمرسم معبدٌ فُستقي الضوء.

وهكذا يمضي عذاب الركابي في تعريفاته الشعرية للمرسم، واللوحة أخت القصيدة، والقصيدة أخت اللوحة، وكلتاهما طفلتان شقيتان لعبُهما ذاتيٌّ فنيٌّ غريزيٌّ.

وعلىٰ مدار هذا النص الذي يعد واحدًا من أطول نصوص الديوان، يربط الركابي بين الشاعر والرسام، ومن المعروف أن عددًا من الرسامين مارسوا كتابة الشعر مثل: صلاح جاهين، وحسين بيكار. أما عند الركابي فالرسام في خطىٰ الشاعر، والشاعر في أحاسيس الرسام، وكلاهما لعبةُ أقدار، ومن نسل السيول والأمطار.

وهنا أتذكر مقولة "إن الشعر يقع في منطقة وسطىٰ بين التشكيل والموسيقىٰ." فالشاعر يرسم بالكلمات، والرسام يكتب بالضوء والظلال والألوان، وما بينهما الموسيقىٰ تعزف ألحان العشق والغرام.

أما "العشَّاق" فهم هبة الله والشكل الأسمىٰ للوجود ونبيذ الحياة. تعريفات جديدة وجميلة للعشَّاق، لم نجدها في كتب أو معاجم أو قواميس سابقة أو لاحقة. لن نجدها إلا عند عذاب الركابي. ولننظر في تعريف العشَّاق في أي معجم أو قاموس، فسنجد – علىٰ سبيل المثال – عشقَ الشيءَ: هَويه وتعلّق قلبُه به وأحَبَّه حبًا شديدًا. وعاشق اسم فاعل، والجمع: عاشقون وعُشَّاق. وعِشق: (اسم) مصدر عشِقَ، وهو إفراطٌ في الحُبِّ، غرامٌ، حبٌّ شديدٌ.

لن نجد سوى هذه التعريفات اللغوية التي لم تدخل أتون الشعر، ولم تنصهر في تجربة شعرية مدهشة مثل تجربة الركابي. وتعود الفراشات مرة أخرى لتحلق في أجواء القصيدة، ولكنها في هذه المرة "فراشاتٌ من نور" ومن وجهة نظر العصافير.

هكذا تسير نصوص الديوان، فنلتقي بتعريفات جديدة ومبتكرة للغرباء، والفقراء، واللصوص، والأيديولوجيين، والطيبين، والأصدقاء، والأعداء، والمتأسلمين، والطُّغاة، والوطنيين، والانتهازيين، والأهل، والوطن، والحاكمين.

ويبدو أن الوطنيين يختلفون في تعريفهم عن الوطن، فالوطنيون – عند الركابي – هم الاستثناء في إنسكلوبيديا الفكر والسياسة، وهم مِلَّةٌ حبٌّ وكهرباء انتماء حتىٰ الخشوع، يسكن فيهم الوطن، أو يسكنون فيه.. لا فرق. أما الوطن فهو هذا النرجسيُّ الذي لا يري إلا نفسه في مرآة الكون. وهو خريطةٌ شاحبةٌ معالمُها في ذاكرة المجهول وأسرارُها الأزلية في اللامكان.

تعريفات وتفاعلات وتخريجات وشروحات وتأويلات شعرية وعاطفية وواقعية ورمزية وسريالية ورومانسية وطبيعية وتجريبية وتقريرية إلىٰ آخر هذه المصطلحات غير اللغوية سنجدها في نصوص عذاب الركابي في ديوانه "من وجهة نظر الفراشات"، أقدمها من وجهة نظري. ومن هنا يأتي سر تفرُّد هذا الديوان صغير الحجم (58 صفحة) عظيم الأثر، كأثر الفراشة.

إعادة تسمية الأشخاص والأشياء (لوحة للفنان فؤاد حمدي)

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

وسط الدوحة مكان كل من يذهب إليه يعود منه مختلفا

«سوق واقف».. تراث ينتصب شاهدا على روح الماضي وجمال الحاضر

من أهم ميزات دول الخليج هو سعيها إلى الحفاظ على تراثها وماضيها جنبا إلى جنب مع انفتاحها على تحديث مذهل في العمران والبنى والحياة. وتبقى الأماكن القديمة رغم ما يحبطها من تطور عصري محافظة على روحها ورموزا تفتح لكل من يزورها أبواب الماضي باعتزاز وكرم، ومن هذه الأماكن "سوق واقف" في الدوحة.

في السوق.. وجوه لا تنسى وحنين لا يشترى

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

زرت قطر، أرض الحلم المعلق بين زرقة الخليج وحداثة الفضاءات، أربع مرات. في كل مرة كنت أظنني بلغت أقصى ما تستطيع مدينة أن تمنحه لزائر أتى وفي جيبه قبضة شوق، فإذا بالدوحة تثبت لي أن أماكن القلب، مثل نصوص الحب، لا تقرأ مرة واحدة.

آخر عهدي بها كان في شتاء 2022، زمن كان العالم يصغي، مأخوذا، إلى مونديال تحول في الصحراء إلى عيد لا تطوى راياته. أما المرة الثالثة -ولعلها الأشد رسوخا في الذاكرة- فكانت سنة 2008، حين هبطت مطارها لألتحق بصحيفة "الشرق" تحت جناح الصحافي الأردني المنتصر حتى وهو يرقد الآن في غياب رفيق: منتصر الديسي. بين مكاتب الأخبار، والأدلة القطرية، تعرفت إلى زملاء صاروا، بما أنبتته العشرة من مودة، إخوة في الحبر والدهشة.

ذاكرة الوقوف

ما يظل يوقظ نبضي ليس ربكة عناوين الصفحة الأولى، ولا صخب المؤتمرات أو الاجتماعات، بل تلك الوشوشات الخافتة التي تحركها الدوحة في قلب القادم من بعيد: بشاشة الوجوه المشرعة، دفء التحايا التي تشبه دعوة بيت إلى بيت، ورائحة هيل تذر في الممرات كأنها تعميد جديد للهواء. أحسست، منذ اللحظة الأولى، أن هذه المدينة تلبس قميصي، تمهد لي سريرا في ذاكرتها، وترفض أن أسير فيها مجرد عابر سبيل.

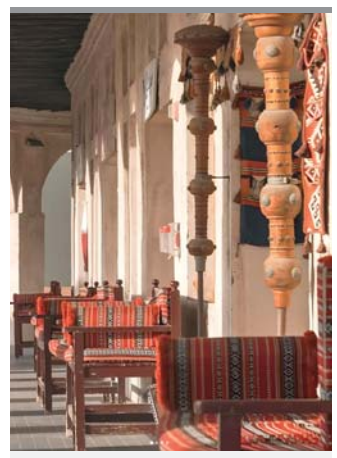

في عالم يستبدل الرموز كل يوم بأخرى أحدث، ثمة أماكن تصر على البقاء ثابتة، مثل «سوق واقف»

في قلب الدوحة، وعلى امتداد واد كان يعرف بوادي المشيرب -حيث كانت المياه تنهمر من كثبان واطئة لتصوغ خريطة عفوية من طين وحصى- نشأ سوق واقف. ليس سوقا بالمعنى الذي ألفناه كقائمة أسعار وقوائم بضائع؛ إنه، قبل كل شيء، تمرين على الصبر، قصيدة شيدت شطرها الأول من وهج شمس وشطرها الثاني من عناد الإنسان.

منذ أكثر من قرنين، كان الباعة يقفون على ضفة المجرى في انتظار زبائنهم. لم يكن في المكان سقف سوى السماء، ولا ظل إلا ما يرسمه جسد رجل يشهق بحرارة النهار. ارتبط الاسم -"واقف"- بصورة التاجر الماثل على قدميه، يقايض حاجته بحاجات الآخرين. الوقوف هنا لم يكن وقفة استراحة عابرة؛ كان موقفا وجوديا، إعلان تحد "ها نحن نقف في وجه العوز عطشى إلى لقمة، لكننا لا ننحني."

ثمة ما هو أبعد من النطق في هذه التسمية. إنه تلخيص لفلسفة عمرانية كاملة: الهندسة، مذاك، تميل إلى التكثيف؛ جدار سميك من الطين يحفظ البرودة، نوافذ خشبية عالية تمرر الضوء بقدر محسوب، أزقة ضيقة تستفز البطء في الخطى فتخلق تلقائيا حميمية بين الغريب والحجر. هنا، يصبح المعمار ذاكرة ملموسة: الطين لا يدهن، لأنه يجب أن يروي. والحجر لا يتجمل بما ليس فيه، لأن الصدق أجمل ملمح في الوجوه والأمكنة سواء.

في المساء، حين يبرد الطين ويتكثف العطر، تستطيع أن تسمع رنة الخطى القديمة. كأن الذين مروا هنا على امتداد مئتي عام ما زالوا يعبرون الأزقة نفسها: بحارة عائدون من غواصات اللؤلؤ، نساء ينتظرن خلف الشبابيك خبرا عن غائب، وأطفال يركضون خلف حمامات تدربهم على فكرة الحرية.

على طرفي الممرات المنحنية، تعلق علامات الجغرافيا وكأن "واقف" يقيم حفلا عالميا لا ينتهي. هذا بائع البهارات الهندي يصوغ لغته من ألوان الكركم والفلفل، وذلك البنغالي يصف أساوره النحاسية كشمس صغيرة، فيما يقف المغربي وراء قوارير الزيت العطر يسقيك نبرة أطلسية خفيضة. الإيقاع العام أشبه بأوركسترا: أصوات الدعوة، لعلعة المقايضة، ضحكات الأفارقة التي تفر من أعناق العربات الصغيرة.

ومع أن هذا النسيج اللغوي شديد التنويع، إلا أن الهوية القطرية الخاصة تظل مشعة في الخلفية كخط ثابت النبر. فالصيحات تشبه صدى البحارة، ورائحة الهيل المعلقة في الممرات تعيد تركيب لحظات من زمن الغوص، حين كان الرجال يرتدون لجة الماء بحثا عن لؤلؤة قد تعود وقد تفلت، فيما تتمسك النساء على الشاطئ بخيط دعاء لا يرى. ومثلما تستحضر الروائح ماضيا غابت ملامحه، تستدعي معزوفات "المراويس" رقصة عرس جرى قبل أن تهدم البيوت الطينية بحجة التوسع.

لا يمر المسافر هنا لشراء حاجة والرحيل. إنك تعبر السوق كمن يعيد تمثيل دور في مسرحية كتبت بدموع بحر قديم وبعرق أجداد حاربوا العطش. يكفي أن ترى الصبي الصغير وقد اتكأ على ساعده صقر لين الرقبة حاد النظرة، لتفهم كيف تعلم صحارى الخليج أبناءها فن السيادة بلا ضوضاء. الصقر -أعمق من رمز للصيد- هو درس في الحرية المنضبطة: يحلق بعيدا، لكنه يعرف طريق العودة. في مرايا عينيه يلمع سر يقول إن الانتماء يبدأ من نهايات الأجنحة.

أجنحة مسك قديم

في أقصى الممر الجنوبي، حيث دكاكين العطور، لا يباع المسك والعود اقتصادا فحسب، بل يباع الشعور نفسه. يدهشك كيف يصبح العطر تمرينا على استدعاء الذاكرة: رشة من "دهن العود" كفيلة بأن تهب عليك ريح سرد من امرأة مرت قربك مساء، فخلفت وراءها دهشة معلقة في الهواء. وتلك الجرة البلورية التي تحوي "مسك الغزال" تشبه -بملمسها اللين- نصا صوفيا عن روح تحب فلا ترى العالم إلا ضوءا.

أبعد قليلا، يقترح عليك بائع اللآلئ تجربة النظر في عين البحر. إنها ليست حصوات ترص على رقاب النساء. إنها سيرة قطر حين كانت تنام على هدير الأمواج وتستيقظ على صوت المحفار. كل لؤلؤة -بمعرفتها الغائرة- تحمل صوت غطاس لم يكن يملك حين يغوص سوى دعاء أهالته زوجته في أذن الصباح. تفكر فجأة: هل كان هؤلاء الرجال يفتشون عن بصيرة أكثر مما يفتشون عن كنز؟ وهل اللآلئ، في جوهرها، إلا اختصار لرحلة الإنسان نحو نور داخلي؟

السوق، إذا، ليس متحفا تراثيا يعرض الماضي كقطعة محنطة. إنه مختبر فهم داخلي: الطعام هنا، مثلا، ليس إشباعا بيولوجيا. فحين تبدأ يومك بكوب "كرك" حلو يشبه تواطؤا بين الهند والخليج، ثم تختتم مسارك بطبق "مندي" مدفون في رماد البهارات، تكون قد عبرت أكثر من جغرافيا واحدة في ساعة واحدة. وفي مطعم "بندر عدن"، يطهو اليمنيون رغيف الذكريات على حجر سخنته الحرب أكثر مما سخنته النار. أما "الأعظمية" العراقي، فيتبنى مهمة لملمة بغداد التي تفرقت في المنافي، ويعيد ترتيبها في قدر "دولمة" تفور رائحة حنين على هيئة نعناع وماء ورد.

الفنادق التي تطوق السوق ليست مجرد مساكن عابرة. هناك، في "النجادة" أو "الوادي"، يصير النزول طقسا وجوديا: المصابيح النحاسية تطري على العتمة، والأقمشة المطرزة داخل الغرف تهدهد الضيف كأغنية أم لابنها العائد. لكأن العمارة هنا تدرس درسا بسيطا: "الفخامة ليست بهرجة، بل عمق إحساس بالبيت."

> **أن تكون في «سوق واقف» هو أن تضع قدمك في الوقت الآتي، وقلبك في ما انقضى، وعينيك في مرايا اللحظة**

وحين يشتعل أول مصباح تراثي في المغيب، ينقلب السوق إلى قلب ثان للدوحة. تنبض الأزقة دفعة واحدة، وترتفع نغمة عود من مقهى شعبي كأنها تدعو خطاك إلى رقصة هادئة، أكثر شبها بصلاة تأملية على خشب عتيق. عند تلك اللحظة، تفهم أن الزمن لا يقاس بالثواني بل بطبقات المشاعر التي تطبق عليك مثل جناح رقيق.

عند منعطف، ربما يدعى منعطف الروح، يتدخل "سوق واقف" في فلسفتك الشخصية. يقول لك: في عالم يستبدل الرموز كل يوم بأخرى أحدث، ثمة أماكن تصر على البقاء ثابتة، لا لأنها عاجزة عن التغيير، بل لأنها تشعر -قوة لا تقاوم- أن أحدا يجب أن يحرس الذاكرة. ستغادر أنت غدا أو بعد عام، وسيتقلب النفط والأسواق والأسعار، لكن جدارا واحدا من الطين إذا سقط، سيتسرب معه شيء لا يعوض من روح المدينة.

هناك، ونحن نتأمل رجل السبعين يجر عربته في بطء صبور، تتجلى حكمة الوقوف التي وهبت المكان اسمه: الوقوف ليس مرادفا للجمود، بل هو قوة تثبيت الصورة حين تميل إلى الانزلاق من بين الأصابع. أن تقف يعني أن تقول للعالم "إني حاضر، شاهد، أمسك بطرف الحكاية لكيلا تضل."

وحين يمضي الليل في السوق يزدحم الهواء بأصداء خطى ولى أصحابها منذ عشرات السنين. تتخيل أنهم يأتون كل مساء ليطمئنوا أن أحدا ما زال يتذكر أسماءهم، وأن أصوات المراويس لم تخرس. فتهمس لنفسك "الذاكرة لا تحفظ في الكتب وحدها، بل في العطر الذي يعبر، في درج خشبي لم يغلق، وفي صقر يمدد جناحيه على ساعد طفل يتعلم الشموخ."

يغيّرك "سوق واقف" مهما ظننت أن للمدن قدرة محدودة على التأثير. تعود منه وقد ازداد داخلك اتزان السلحفاة: بطيء بما يكفي لتلاحظ وهج التفاصيل، سريع بما يكفي لتلحق قطار حياة لا يرحم. تتعلم أن البساطة ليست عجزا عن الارتفاع، بل اختيار واع للتماس مع الأرض. وتدرك أن ثمة أماكن، إذا جرى تحديثها حتى آخر مسمار، ماتت، كما تموت شجرة حين تطلق جذورها في الهواء.

المعمار ذاكرة ملموسة

أكثر حبا للبساطة

أن تكون في "سوق واقف" هو أن تضع قدمك في الوقت الآتي، وقلبك في ما انقضى، وعينيك في مرايا اللحظة. هو أن تعيد فهم الحداثة على أنها حوار مع الماضي لا قطيعة معه، وأن تذوب في داخلك هذا السؤال القديم الجديد: كيف نتمدن من غير أن نفقد طعم الماء الذي شربه أجدادنا من كف واد صغير؟

> **منذ أكثر من قرنين كان الباعة يقفون على ضفة المجرى في انتظار زبائنهم، لم يكن في المكان سقف سوى السماء**

ربما لهذا كله، حين أغادر الدوحة وأدير ظهري للطريق المؤدي إلى المطار، أشعر بأن شيئا من طين السوق يلتصق بحذائي، وبأن عطرا خفيفا -ما أدري أهو مسك أم هيل- يسكن ياقة القميص طويلا. فأفهم أن "واقف" لا يأذن لك بالرحيل تماما: يترك فيك بذرة صغيرة، فإذا جفت أيامك استنبتت الحنين.

"سوق واقف" ليس مشهدا أثريا للتصوير، بل قلب نابض في جسد مدينة تعيد تشكيل نفسها كل يوم. إنه وعد صامت بأن التراث لا يموت إذا تنفس ببطء. وأن الأماكن ليست طينا وجدرانا فقط، بل هي أرواح ووجوه ورغبات معلقة في الهواء.

"سوق واقف"، إذًا، ليس مكانا نذهب إليه، بل نعود منه مختلفين؛ نعود أكثر فهما للزمن، وأكثر حبا للبساطة، وأكثر يقينا أن بعض الأماكن لا يجب أن تتغير، لأنها ببساطة تحرس أرواحنا.

أن تكون في "سوق واقف"، يعني أن تضع قدمك في التاريخ، وقلبك في الحاضر، وعينيك في المستقبل. هنا، لا نشتري فقط، بل نعيد تشكيل وعينا. نجرب الانتماء، ونمارس الحنين، ونؤكد أن هناك أماكن لا يجب أن تتغير، لأنها ببساطة، تحرس الروح. في عالم يختزل الأشياء بسرعة كبسة زر، يبقى هذا السوق درس ما هو باق. وبقاؤه ليس في حجارة أو أعمدة أو زخارف، بل في فكرة أبسط من كل ذلك. وسوق واقف، في طينه وعطره، مرآة لروح نتقاسمها جميعا، كل بلغته، وكل بجناحه، وكل بحكايته.

السوق مختبر فهم داخلي

شفيق عزيز فنان يحول المألوف إلى استيتيقا مضادة

منشآت مصغرة من الروسيكلاج والبريكولاج تتحول إلى منهجية في البحث والتجريب

للفن المعاصر رهانات أخرى على تقديم استيتيقا مضادة أو مغايرة لما هو مألوف، وبالتالي بناء خطاب آخر من خلال مواد قد لا تكون معتادة، خطاب لا يتوقف عند السطح أو إثارة الشكل بل يذهب بعيدا في حواریاته وحتى خصوماته مع المتلقي. الفنان المغربي شفيق عزيز اختار مواده من اليومي والمهمل ومنتهي الاستعمال ليقدم نظرة أخرى تتجاوز مجرد التدوير.

إعادة إنتاج المعنى خارج منظور «المستهلك»

عزالدين بوركة
شاعر وباحث مغربي

ليست الاستيتيقا المعاصرة حالة محايدة أو منعزلة عن توزيع العلاقات السلطويّة، إنما هي بالضرورة مغطّاةٌ بالسياسيّ والاجتماعي والثقافي والفني المضاد، الذي يسعى ليكون بديلا عن السلطة الرمزية والقائمة، التي تكرسها المؤسسات الرسمية بأسماء متعددة بما فيها الأخلاقية والهوياتية الثابتة لا المتحركة، فتَكُون الاستيتيقا المندرجة في ثنايا البراديغم المعاصر المضادّة أو البديلة أداة لتحويل وظائف الستيتيقي وضبطها بما يخدم التحرّر من الهيمنة المركزية.

شفيق عزيز يخلق حوارا دائريا بين العمل والمتلقي، فكل مواجهة بالفن المضاد تنشط وعي المتفرج بلحظات الدهشة

المعاصرة تنتصر في جوهرها للهامش لا للمركز، مُحوّلة السلطة إلى بنى صغرى يخترقها الشتات، لكنها متصلة في انفصالها واستقلالها مع بعضها البعض، ضمن بعد واحد، في هذه الحال: المنجز الفني.

الاستيتيقا البديلة

تميّز هذه الاستيتيقا عن مفهوم "التجديد" أو "الابتكار" بمعنى أنّها لا تهدف إلى خلق صور جديدة تُبقي على بنية الاستيتيقي السائدة، إنما تُركّز على تدمير (DÉMANTÈLEMENT) وهدم وتفكيك هذه البنى الاستيتيقية الكلاسيكية، ثم تحرير مادّيات الفنّ (الموادّ الخام، الخردة، الأجسام المستهلكة والمألوفة) من حدودها الشكلية المصنّعة، لتصبح قدراتها التعبيرية مسرحا للمقاومة والرفض والتشكيك في ما يُنعت بـ"ذاك هو الجمالي أو الجميل".. فهي مضادة لهذه التصنيفات التي لبّها الجوهري متأت من التقسيمات الأخلاقية واللاهوتية: خير/ شر، صالح/ طالح، جميل/ قبيح، منظم/ فوضوي، ذو غاية/ عبثي...

بهذا، عمدت مجموعة من التيارات، بما فيها المنتمية إلى براديغم الحداثة (الدادائية، التكعيبية...)، إلى زعزعة البرزخ الفاصل بين الفني وغيره، مدمجة في صميم المنجز، اللوحة غالبا، قطعا من عالم المعيش (MONDE VÉCU)، وهو دمج ذو نزعة كولاجية لوهب العمل بعدا دلاليا يحيل على العالم خارج عالم اللوحة. نوع من استدعاء لا التدوير، عكس تلك المنجزات التي توصف بأنها معاصرة، والتي قوامها الأساسي يقع خارج مبدأ الاستدعاء هذا، أي جعل الحدّ الفاصل بين عالم العمل الفني وعالمنا المعيش غير ممكن إدراكه أو تحديده، في نوع من التلاعب الاستيتيقي بالتخوم والحدود.

الاستدعاء يكون ضمن رؤية فنية أسّسها التأكيد جوهريا على أن الفنّ هو "صُنع وصنيع الأشياء في الآن عينه"، غير أن تلك الأشياء ما هي إلى ذرائع استيتيقية (PRÉTEXTE) لتلبيس المفهوم جسما ماديا. وذلك عبر اشتغال يرى أن إعادة استعمال الأجسام والكتابات في حياتنا اليومية تشكّل تكتيكات للتفاعل مع الإستراتيجيات المهيمنة للسلطة الرمزية والمجتمعية والثقافة المؤسساتية التي تعمل على احتضان الخطاب لصالحها، وهو ما يلمسه الفنان والباحث شفيق عزيز.

يستدعي عزيز شظايا الإعلانات البالية وقطع التغليف المكتوب عليها كلمة "حلال"، على سبيل التمثيل، وأسلاك معدنية ومِزق وخيوط ودمى وصور من مجلات وجرائد، وقطع زليج... وغيرها. فيحوّلها من علامات استهلاكية إلى محفزات نقدية تثير أسئلة عن الطابع الفني والثقافي المشترك والمألوف لهذه القطع يوميا، وتكشف عن قدرة المتلقي على إعادة إنتاج المعنى خارجَ منظور "المستهلك" الجامد ليصبح فاعلا في توليد سرد واستيتيقا بديليْن.

يتنامى هذا البعد في تداخل الخيوط والشباك المعدنية وقطع الورق والخيش بتعدده وبعده مادة أساسية في بناء البنية البصرية لهذه المنجزات الإنشائية المصغرة والمعلّقة، إذ تتحول جميع هذه العناصر في تواصلها إلى علامةٍ دلالية تستحضرُ مفهومَ "المادةِ الاستدعائية" التي توظفها نظرية الأجسام – اللاعضوية عند دولوز وغاتاري – أخذا عن الكاتب الفرنسي أنطونين أرتو لتوضيح كيفية تشكل الانفعالات والتفاعلات دون الاعتماد على مركز ثابت أو هويةٍ جامدة.

تكوّن هذه الخيوط شبكة مرنة تسمح للعين بأن تنتقل بين النقاط، وتفتح متسعا لرؤية تحولات مستمرة في العلاقة بين مكونات العمل وعناصره التعبيرية، وذلك ضمن ما تتيحه كل إمكانية التجميع (ASSEMBLAGE) والتنميق (BRICOLAGE) والتلصيق (الكولاج). وذلك ضمن بعد من توظيف مفكر فيه للفوضى المنهجية، التي تنطلق من الكارثة ولا تقيم حدّها.

يلتقط شفيق عزيز خطّا رفيعا من التناصّات المتأتية من تعددية مصادر (عناصر) منجزه، محفورا في نصه البصري الذي يشبه منجزا سرديا تَفتتحُهُ الأسئلةُ عن "العلامات التي تلتصق بنا كما يلتصق ثمارُ نبتة الأرقطيون بفراء الحيوانات"، كما يتحدث الفنان نفسه، وتستأنفُهُ الفكرةُ بسؤال عن "الصدمة" التي يتركها هذا الاحتكاك في الأجسام والأرواح، فتكشفُ لنا أنّ النصَّ والخامات بذورٌ لمختبر تجريبي تتشابك فيه اللغة والصورة والمشاهَد لتوليد أفكار ورؤى مغايرة.

يُصيّر الفنان، بهذا المعطى المفاهيمي، الأشياء اليومية إلى أغراض تستحيل إلى دواع تأملية في تداعيات العمل، قبل الذات التي لامست واشتغلت ولعبت ولبست تلك العناصر/ الأغراض، التي تحوّلت من كونها منسية ومتروكة في متاهات النظر الأعمى والمألوف المهمل إلى مفردة تشكيلية في ذاكرة العمل الفني، المفتوح على أسئلة ثقافية متباينة ومتنوعة، منها ما يلامس المشترك وما يخاطب الذاتي.

تنطلق هذه الوجهة من فكرة أن المادة الفعلية تُشكّل مصدرا للأفكار والرؤى، لا مجرد وعاء شكليّ. لهذا فعناصر المنجز ما هي إلا مطايا مأخوذة من ذاكرة طفولة الفنان، لتمنح الفكرة غطاء بصريا مشدودا للدهشة أكثر من كونه ذا غاية واضحة. بذلك، يقرّب عزيز الحاضر الفنيّ من الظاهرة الاجتماعية (الفردية والجماعية)، ويحوّل فضاء العرض إلى مختبرٍ للتفاعلات الإنسانية.

النظر عبر المرآة

وتعتمد تجربة الفنان على لغة مزدوجة بين المادة/ العناصر والكلمة/ النص، فالإشارات المكتوبة بخط الشارع – إن صح هذا التعبير – تُضفي على التركيبات بعدا سرديا يقود المتلقي إلى حوار مفتوح مع العمل. يثبت الفنان هنا أن التناصّ اللغوي – البصري بين الأجسام والكتابات يولد قوة اشتباكية بين البصر والفكر، حيث تحفّز العبارة العفوية المتلقّي على الانخراط المعرفي، من خلال قراءة عناصرها تبعا لما تحيل عليه في علاقتها هي بذاكرته وذاتيته، وما تمثّله أيضا جل التركيبات من دلالة سيميائية نابعة من المخزون البصري لدى كل متلق.

وسبق أن تحقق ذلك في عمله الذي ارتكز على المرآة كعنصر مركزيّ متكرر ومتعدّد الأوجه، يُقدّم عبره شفيق عزيزي تجربة بصرية تنسج بين الذاتي والجماعي في نسق واحد: فالمرآة، بوصفها أداة لشكل الزينة وتزيين الذات، ليست مجرد سطح عاكس ينقل صورة المنظور وحسب، إنما هي بوابة مفتوحة على ذكريات الطفولة المندثرة، تلك اللحظة الأولى التي نتعرف فيها على وجوهنا ونكتسب شيئا من النرجسية التي تشكّلنا أمام باقي الوجوه التي نترصدها، وسطوع اللحظات المشتركة مع الآخرين داخل "العالم المصغر" الذي نسميه الأسرة، وتمتدّ لتشمل "العالم الأكبر" المعبّر عن نسيج المجتمع، وصولا إلى عوالمه الحميمية الأخّاذة.

وبقدر ما ينظر الناظر إلى ذاته ويندهش لاستمرارية الصورة المنعكسة، فإنّه ينظر إلى المرآة أيضا كجسم مشحون بقدرة علائقية (RELATIONNEL) تولّد في ذهنه سؤالا عن حدود الذات والجماعة، وعن وظيفة الشيء الاستهلاكيّ حين يتحوّل من مادة خام إلى حامل لتجربة استيتيقية تضجّ بإيقاعات الاستفزاز. تستفزنا المرآة لننظر إلى ذواتنا وأجسامنا من خلالها، إنها العين الجماعية الموحّدة في انعكاس واحد قبل أن نواجه "الآخرين/ الجحيم". هذا التوظيف اللعبيّ (LUDIQUE) للمرآة لا يُخفي ماديتها، ولكنه يرفعها إلى مصاف المفهوم، حيث يصبح "الجمال" و"التجمّل" ضمن بنى استدراكيّة تثير في الناظرين الدهشة والقلق اللذين يمهّدان لانبثاق تأويلات جديدة قبل أن يعود الخطاب البصري إلى ذاته، فيدعو إلى إعادة النظر في قيمة التأمل وحميمية الاحتفاء بالمرايا داخل اللعبة الفنية المستمرة.

يشتغل بهذا المسعى شفيق عزيز عبر منهجية مهندس يدير خاماته المتعددة والمتنوعة في حقل بنائي موحد، وهو ما يمكن أن يصطلح عليه بالبريكولاج، حيث يؤالف الفنان بين مختلف مركبات منجزه ضمن إستراتيجية استيتيقية، تحوّل الفوضوي والكارثي إلى نظام مؤقت. نظام ظاهري لكنه ميّال إلى التفكك، ليس بمعنى التخريب السلبي، لكن بما يتيح لكل عنصر استقلاليته الذاتية ضمن إمبراطورية المتلاشيات والمتفرقات والمزق هذه.

وبالتالي، فبقدر ما نتعامل تأويليا مع المنجز ككل، فنحن نقف بالضرورة أمام كل عنصر على حدة، لقراءة دلالته وموضعه وموضوعه/غايته في العمل الفني.. الأمر شبيه بالكتابة النصية الأدبية المعاصرة، حيث "لا شيء خارج النص"، تبعا للقول الدريدي، فكل كلمة مستقلة بذاتها وكل جملة تحيل على معانيها المتعددة، أما النص/المنجز فكل معانيه رهينة الإرجاء والتأجيل، كأنها تقع في اللانهائي، في المستحيل تعيينه وقوله وتحديده..

الوليف البصري المتشذر

من زاوية نظر أخرى، يمكننا القول إن المنجز هنا، التجميعي، يتحقق من حيث هو توليفة بصرية لنصوص شذرية (FRAGMENTABLES)، لكل نص غايته الخاصة لكن النصوص جميعا تجتمع لتشكّل المشروع/ المنجز، غير القابل للاكتمال، لأنه وإن انغلق داخل الإطار فهو يتجاوز لاستدعاء العناصر المتشابهة والألفاظ المتناصة معه والرؤى المتقطعة مع غايته، وشفيق عزيز المسكون بالسؤال البحثي والاستشكال المفاهيمي مدرك للأمر لهذا فحينما يشتغل على عمله فإنما من باب اللعب والتوليف المرح، كما يُنمّق الأطفال ألعابه المصنوعة من المتلاشيات، حيث في فنّ البريكولاج تنبتُ من أيدي الفنان – الباحث بذورُ الوهم المنهار.

لا يقفزُ الفنان إلى مرتفعات بعيدة عن واقعه، إنما يصغي إلى نبض الموادّ الحاضرة تحتَ أظافره، ويتماهى مع نبضاتها في معركة الإبداع والحياة معا. لا هوامش مخططات ترسم له دروبا مسبقة، ولا أجنحةُ أوهام تحملُه صوبَ أفق بعيد. يتركزُ الفنانُ المُنمّق في المواجهة السريعة مع ما هو موجودٍ ومألوفٍ للعين حدّ النسيان، فيحوّلُ الفوضى إلى إيقاع، والفتاتَ إلى منجز لا يحتاج إلى شهادةِ براءةٍ من المستقبل. إنه يختلقُ ذاته بقوامِيس اللحظة، لا بمرجعيّات، ولا بقوالبَ جاهزة، وبلمسة اليد الخالصة للعالم الممسوك في كفه.

التناص اللغوي - البصري بين الأجسام والكتابات يولد قوة اشتباكية بين البصر والفكر لتحفيز المتلقي على الانخراط المعرفي

بهذا تتحول "الاستيتيقا المضادة"، المتضحة في منجز/ مختبر شفيق عزيز، إلى منهجية في البحث والتجريب، لا مجرد تيار شكلي أو حركي، حيث يتاح للفنان أن يكون صانع سياق يستثمر لغة الجسم والذاكرة والكتابات الشارعيّة والإعلانية، فتتداخل الشظايا السردية مع الشظايا الماديّة في إنجازات فنية مفتوحة على التفسير والتفاعل المستمرّ.

إنّ هذا المنحى يخلقُ حوارا دائريا بين العمل والمتلقّي، فكل مواجهة بالفنّ المضاد تنشط وعي المتفرج بلحظات الدهشة، ثم تدفعه إلى مراجعة فرضياته عن الجمال والأخلاق والسلطة، وصولا إلى إدراك أن "الاستيتيقي" ليس حالة جامدة، إنما أداة تغيير ثقافي واجتماعي قائمة على التحوّل والتجديد المستمرّ: "الاستيتيقا البديلة".

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

«لا أرض أخرى».. علامة على حياة مجتمع لم يستسلم أبدا

وثائقي عن فلسطينيين معلقين في ديستوبيا مروعة

أكثر ما يحتاجه الفلسطينيون اليوم هو التوثيق ضد النسيان والتعتيم، وهذا ما تقوم به العديد من الأفلام الوثائقية باقتدار، لكن وإن اختار بعضها الجوانب المكشوفة من الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، فإن البعض الآخر على غرار فيلم "لا أرض أخرى" اختار الغوص في عمق المعاناة اليومية بأساليب ساحرة.

علي المسعود
كاتب عراقي

فيلم "لا أرض أخرى" الحائز على جائزة أفضل فيلم وثائقي في مهرجان برلين السينمائي الأخير، وحصل أيضا على جائزة الأوسكار هذا العام لأفضل فيلم وثائقي مما أثار غضبا وانتقادات من الجانب الإسرائيلي، يدور حول قرية مسافر يطا وهي منطقة جبلية شبه صحراوية جنوب الخليل في الضفة الغربية، وتتألف من اثنتي عشرة قرية يسكنها بشكل رئيسي مزارعون ورعاة عرب فلسطينيون منذ القرن التاسع عشر. ومن بينهم باسل عدرا المحامي والصحافي الشاب الذي قرر تكريس حياته لتوثيق همجية الاحتلال التي أحاطت به منذ الطفولة.

> الفيلم يرتقي إلى قمة الشكل الوثائقي في نقل صادق وواقعي للوجع الفلسطيني، بأمانة ودون أي خطاب سياسي عقيم

في الواقع، بعد حرب الأيام الستة عام 1967، أصبحت مسافر يطا هدفا للاحتلال الإسرائيلي حتى تم إعلانها في أوائل الثمانينات منطقة تدريب عسكري – ما يسمى بمنطقة إطلاق النار 918 – وتم إضفاء الشرعية على هذا الاعتداء في عام 2022 بحكم صادر عن المحكمة العليا في إسرائيل، وسبق أن مارسته بشكل منهجي لأكثر من خمسين عاما، من خلال أوامر هدم المباني والسيطرة العسكرية الخانقة على حركة الطرق.

مشاهد دون روتوش

في مثل هذا السياق، ليس من المستغرب أن تتم عرقلة المعلومات أيضا من قبل الجنود، مما يجعل عمل النشطاء والصحافة الدولية أمرا صعبا للغاية. لهذا السبب اختار الصحافي باسل أن يقف كصوت سردي لسكان قرية تستباح بأكملها، ويظهر من الداخل واقعا مقدرا له أن يظل مجهولا.

يقدم فيلم "لا أرض أخرى" نفسه أولا وقبل كل شيء كوثيقة إدانة للعمليات المدمرة التي تقوم بها حكومة نتنياهو. الرسمية تشهد على السبب الحقيقي لتحويل القرية إلى منطقة تدريب عسكري: الإرادة السياسية لطرد القرويين الفلسطينيين من أراضيهم.

يروي الفيلم قصة عائلات تم طردها بعنف، أو أخذ متعلقاتها على عجل ففي بعض الأحيان لم يكن لديها الوقت أو الإذن لأخذ أي شيء يخصهم. يحكي العمل عن البحث المتواصل عن الرجال والنساء والأطفال وكبار السن الذين يضطرون إلى الاستقرار بشكل دائم في كهوف غير صحية لأنهم لا يملكون أرضا أخرى يذهبون إليها غير أرضهم. ويكشف الهجمات المميتة التي شنها المستوطنون المتطرفون تحت أنظار الجيش الإسرائيلي.

غرباء في بلدنا

يعكس الفيلم، وهو إنتاج مشترك بين فلسطين والنرويج، قصة الصداقة المعجزة بين مصور الفيديو الفلسطيني باسل عدرا والناشط الإسرائيلي يوفال أبراهام، وكلاهما مؤلفان مشاركان للفيلم الذي وثقاه معا لسنوات لرواية قصة هذه المضايقات التي لا نهاية لها والأمل في أن يريا في يوم من الأيام السلام والعدالة وإعادة الحق إلى أصحابه. هذه المعركة غير المتوازنة بين السكان المحرومين من الوسائل والعدالة الظالمة، ترصد مقارعة بطش جيش الاحتلال الذي يريد سلب تلك الأراضي لجعلها منطقة عسكرية مع تجاهل تام للسكان المحليين، بمن فيهم الأطفال وكبار السن والمعوقون.

منذ أكثر من خمس سنوات، يقوم باسل عدرا، وهو ناشط فلسطيني في الضفة الغربية، بتصوير طرد أهله وشعبه من قبل الاحتلال الإسرائيلي، الذي يدمر القرى الفلسطينية تدريجيا ويهجر سكانها. ويتم تجريف القرى والفلسطينيين الذين يجدون أنفسهم يتعرضون للمعاملة الوحشية من قبل الجيش الإسرائيلي وإطلاق النار عليهم. يعرف من يتعامل معه، لأن والديه وأجداده كانوا يقاتلون أيضا ضد المحتل.

تصف العديد من المشاهد صمود العائلات في هذه الكهوف الفقيرة، حيث يلعب الأطفال، والأمهات اللواتي فقد بعضهن أبناءهن، ويسعين جاهدات للحفاظ على التعليم والشباب الذين يحلمون بمستقبل آخر أجمل. هذه الصورة الجميلة جدا عن الصمود الفلسطيني، تعيد إلى هذه العائلات التي تعرضت للازدراء ظلما صورة الأشخاص الذين لا يستسلمون للهمجية ولكنهم يحاولون يوما بعد يوم البقاء على قيد الحياة على الرغم من مضايقات الجيش الإسرائيلي.

بالنسبة لسكان مسافر يطا، وهي مجموعة من 19 قرية فلسطينية في جنوب تلال الخليل يسبق وجودها دولة إسرائيل بأكثر من 60 عاما، أدى احتلال الأخيرة للضفة الغربية إلى عقود من القمع والاستنزاف الذي يستهدف تهجيرهم. في الفيلم صور الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني موجودة في كل مكان. من الأخبار إلى وسائل التواصل الاجتماعي. للوهلة الأولى، لا تبدو الصور التي تشكل "لا أرض أخرى" مختلفة تماما، ومع ذلك فإن أصلها فريد بشكل جذري لأنها تأتي مباشرة من داخل القرى الفلسطينية التي أفرغها الجيش الإسرائيلي ودمرها.

هذه الصور التي تم التقاطها على مدى شهور وسنوات بواسطة الهواتف والكاميرات الخفية إلى حد ما، تم تجميعها هنا من قبل مجموعة من أربعة صانعي أفلام (ثلاثة رجال وامرأة). في الوقت الذي يراقب العالم همجية العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة المحتل، تم تعزيز نظام القمع والهيمنة المنهجة للفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلة.

يعرض هذا الفيلم بطريقة ملموسة انتهاكات حقوق الإنسان التي وثقتها منظمة العفو الدولية. ويكشف بطريقة إنسانية وملموسة تداعيات عمليات الهدم والاستعمار والتمييز والعنف اليومي الذي يتعرض له الفلسطينيون، ويسلط الضوء على نظام الفصل العنصري الذي تمارسه السلطات الإسرائيلية.

الفيلم صرخة من القلب ودعوة إلى المساعدة من المجتمع الدولي، تسمح بتذكير أكبر عدد ممكن من الناس بالعديد من الانتهاكات التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي مع الإفلات من العقاب. إذ يوثق الهدم المنهجي لمساكن الفلسطينيين في الضفة الغربية، المشاهد الرهيبة التي تمر أمام عين المشاهد، من هدم المنازل إلى وفاة أحد السكان الذين قتلوا من مسافة قريبة على يد مستوطن، مشاهد مؤثرة لأنها وثيقة لوصف همجية المحتل.

جنود الاحتلال وبإذن غامض من محكمة لا يكون للفلسطينيين رأي فيها، يدفعون النساء والأطفال المسنين، ويفشلون في الاستجابة لمناشداتهم بالتوقف، ويطردون السكان الذين تعيش عائلاتهم في المنطقة منذ عام 1830. لا يسمح للسكان بالتصويت ولوحات ترخيصهم تميزهم عن الإسرائيليين. نرى نساء ينقذن سجادهن من تحت الأنقاض، "ليس لدينا أرض أخرى"، يقولها أحد السكان، وهي عبارة أصبحت عنوان الفيلم الوثائقي.

"لا أرض أخرى" هي قطعة من المقاومة ولكنها أيضا من صور طيبة وإنسانية الفلسطيني. عندما يكون المخرج باسل عدرا على وشك الاعتقال، تخبره والدته بما تقوله الأمهات في الكثير من الأحيان "ارتد معطفا"، كما تنصح أمهات المناضلين.

يقول أحد القرويين إن عائلته تعيش هنا منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر. هذا لا يمنع الجنود الإسرائيليين من تدمير منازل الناس بالأرض. لا يسمح للقرويين بإعادة بنائها، لأن ذلك يتطلب تصريح بناء. وللحصول على رخصة بناء، تحتاج إلى التقدم بطلب إلى محكمة إسرائيلية. لذلك يعيدون بناء منازلهم ليلا قبل أن تعود الجرافات. يضطر الكثير من الناس الآن إلى العيش في الكهوف. ويتم حبس الأطفال أولا في فصولهم الدراسية، ثم يجبرون على الخروج تحت تهديد السلاح.

الصحافة مفتاح الرواية

ولد باسل في عائلة مناضلة، ولهذا السبب فهو من ناحية متحمس لتنفيذ أفكاره، ولكنه قلق باستمرار على عائلته وخاصة والده، الناشط وصاحب مضخة الوقود، الذي اعتقل عدة مرات، بما في ذلك أثناء التصوير. المخرج/ بطل الرواية هو جزء من واقع يكون فيه هدم المنازل أمرا يوميا، ولوحات ترخيص الإسرائيليين والفلسطينيين مقسمة حسب الألوان (الأصفر والأخضر)، لأن الأول لديه تصريح بالانتشار بحرية، في حين أن الثاني محدود جدا. من ناحية أخرى لا يواجه يوفال مشكلة في زيارة والدته، ثم العودة، بينما يخضع السكان الفلسطينيون لفحوصات متكررة. يحظر على امرأة زيارة ابنها في المستشفى، وهو شاب أطلق عليه جنود إسرائيليون النار، وأصيب بالشلل، لمحاولته استعادة بعض الأدوات.

منذ عرضه الأول في مهرجان برلين فاز الفيلم في عام واحد بجميع جوائز الأفلام الكبرى التي تم ترشيحها لها، ليصبح أحد أكثر الأفلام تتويجا لعام 2024. في مهرجان برلين (حيث حصل الفيلم على جائزتين) أثار الفيلم اتهامات بمعاداة السامية من السياسيين الألمان وتهديدات بالقتل في إسرائيل.

في مساء الرابع والعشرين من مارس 2025، تعرض المخرج والمصور الفلسطيني حمدان بلال أحد صناع الفيلم الحائز على جائزة الأوسكار، لاعتداء عنيف من قبل مستوطنين قرب بلدة سوسيا، حيث يقطن، ليس بعيدا عن مسافر يطا محور الفيلم الذي فضح انتهاك قوات الاحتلال والمستوطنين، قبل أن يعتقله جنود جيش الاحتلال الإسرائيلي، الذين أفرجوا عنه في اليوم التالي، ليتوجه إلى مستشفى بمدينة الخليل وملابسه ملطخة بالدماء.

يجدر بنا أن نتذكر خطاب وكلمات يوفال إبراهيم "نحن هنا الآن أمامكم، أنا وباسل، ونحن في نفس العمر. أنا إسرائيلي، وباسل فلسطيني. وفي غضون يومين سنعود إلى أرض لا نعتبر فيها متساوين. على عكس باسل، أنا لا أعيش بموجب قانون عسكري. نحن نعيش على بعد 30 دقيقة، لكن لدي الحق في التصويت، باسل لا يفعل ذلك. أنا حر في التنقل أينما أريد في هذه الأرض، بينما باسل، مثل ملايين الفلسطينيين، عالق في الضفة الغربية المحتلة. يجب أن ينتهي وضع الفصل العنصري، هذا الظلم."

يخلط الفيلم صور الهواتف المحمولة المحطمة للمشاجرات العسكرية مع لقطات أرشيفية ونشرات إخبارية تلفزيونية ولقطات حالمة ضعيفة لقرى ليلية مغبرة مضاءة بمصابيح كهربائية. في بعض الأحيان، تندمج صور اليوم مع صور جيل مضى، عندما نرى في الأفلام المنزلية والد باسل عدرا يحتج على نفس المظالم، وهي دورة لا نهاية لها. ذكرياته الأولى هي أول اعتقال لوالده.

تكشف الصور الأحداث التي وقعت بقوة. يغزو الجنود الإسرائيليون القرى ويدمرون المنازل والمباني، بما في ذلك مدرسة ابتدائية بداخلها أطفال. يعيد السكان البناء، غالبا في الليل، لكن القوات تعود وتهدمها مرة أخرى، وتصادر مواد البناء أيضا. وتشمل الإجراءات الأخرى المتخذة قطع الكهرباء والمياه وحظر استخدام السيارات. تصل الأمور إلى ذروتها عندما أطلقت الشرطة النار على قروي يدعى هارون أبوعرم، مما جعله مشلولا، وأثار ذلك مظاهرات تتعرض بدورها للهجوم من قبل الحكومة. وفي الوقت نفسه، ينتهي الأمر بالعديد من العائلات للعيش في الكهوف، حيث ليس لديهم مكان للعيش فيه بعد انهيار منازلهم.

في الختام "لا أرض أخرى" ليس مجرد فيلم وثائقي، لكنه علامة على حياة مجتمع لم يستسلم أبدا مع ميزة كبيرة تتمثل في إجبار المشاهد على التعاطف من دون ابتزازه. لا يحتاج إلى زخرفة غير ضرورية لإبراز لغته، لأن الواقع بالفعل بليغ بما فيه الكفاية في حد ذاته. عمل قادر على الارتقاء إلى قمة الشكل الوثائقي في نقل صادق وواقعي للوجع الفلسطيني، بأمانة ودون أي خطاب سياسي عقيم. يجسد هذا الفيلم الوثائقي قصة نضال قرية في الضفة الغربية على مدى عدة سنوات ضد الاحتلال الإسرائيلي الذي يدمر القرى تدريجيا ويطرد سكانها.

إجبار المشاهد على التعاطف دون ابتزاز

> باسل عدرا ويوفال أبراهام يقدمان فيلمهما كوثيقة إدانة للعمليات المدمرة التي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلي

صورة الأشخاص الذين لا يستسلمون للهمجية

نظرة فاحصة على حياة الفلسطينيين تحت الاحتلال

أطفال يعيدون أطفالاً إلى المدرسة

مبادرة مغربية تكافح التسرب المدرسي بروح التضامن والأمل

في تيفلت المغربية، يقود تلاميذ حملة "من الطفل إلى الطفل" لإعادة زملائهم المنقطعين عن الدراسة بسبب الفقر والصعوبات التعليمية، لتستقبلهم مدارس "الفرصة الثانية" لتأهيلهم دراسياً ومهنياً. والمبادرة نجحت في تقليص التسرب المدرسي، وتبرز أهمية تمكين الشباب في إصلاح التعليم ومحاربة الفوارق الاجتماعية.

التعليم يحارب الفقر

تيفلت (المغرب) - في ضواحي مدينة تيفلت، التي تقع على مشارف العاصمة الرباط، تتجلى قصة أمل تنسجها أنامل تلاميذ لم يتجاوزوا السادسة عشرة من أعمارهم، لكنهم أدركوا مبكرًا أن فقدان زميل أو صديق لمقاعد الدراسة لا يعني فقدانه للمستقبل. هكذا بدأت حكاية سعيد، وضحى، وهدى، تلاميذ إعدادية "جوهرة"، الذين يفتخرون اليوم بنجاحهم في إعادة ثمانية من زملائهم المنقطعين إلى فصول الدراسة، في إطار حملة وطنية تهدف إلى الحدّ من ظاهرة التسرّب المدرسي، التي تهدد سنويًا مستقبل قرابة 280 ألف طفل في المغرب.

> على أرض الواقع، تستقبل مدارس «الفرصة الثانية» العائدين، وتوفّر لهم تعليمًا يجمع بين المواد الأكاديمية والتكوين المهني

والتسرّب المدرسي ليس مشكلة عابرة في المغرب، بل معضلة مزمنة تؤثر على بنية المجتمع واقتصاده. فوفقًا للبيانات الرسمية، ينقطع سنويًا حوالي 276 ألف تلميذ تحت سن 18، غالبيتهم في المرحلة الإعدادية، حيث تُسجَّل نحو 160 ألف حالة سنويًا. وتُعزى الأسباب في الغالب إلى الفقر، والهشاشة الاجتماعية، وصعوبات التعلم، كما يوضح مدير إعدادية "جوهرة"، سعيد تموح.

ولا يخفى أن نظام التعليم العمومي في المغرب يواجه تحديات أخرى، من بينها الاكتظاظ في الفصول الدراسية، وضعف البنية التحتية، وتفاوت الجودة بين المدارس العمومية والخاصة، رغم إطلاق العديد من برامج الإصلاح على مدار العقود الماضية. فحسب دراسة رسمية، تعزى 47.5 في المئة من حالات الفقر في المغرب إلى نقص التعليم، في بلد تصل فيه نسبة الأمية إلى نحو 25 في المئة من إجمالي السكان البالغ عددهم حوالي 37 مليون نسمة.

وفي هذا السياق، جاءت مبادرة "من الطفل إلى الطفل"، وهي حملة أطلقتها وزارة التربية الوطنية وتقوم على توظيف التلاميذ أنفسهم للتواصل مع أقرانهم المنقطعين ومحاولة إقناعهم بالعودة. وتحمل التلميذة ضحى الغزولي (15 عامًا) بفخر قبعتها التي تزيّنها عبارة الحملة، وتقول "الحمد لله استرجعنا ثمانية من أصل 17 من زملائنا... وسنُعيد الباقين بإذن الله."

أما سعيد الرفاعي، زميلها في الفصل والميدان، فيعبر عن حزنه لرؤية أصدقائه يضيعون، مؤكدًا أنه شعر بمسؤولية شخصية لإعادتهم، "لإنقاذ مستقبلهم،" كما قال.

النهج الذي تتبعه الحملة يقوم على القرب والمودة: الأطفال يعرفون بعضهم، يتحدثون اللغة نفسها، ويتشاركون المخاوف والطموحات. هذا ما جعل هدى النشبة (16 عامًا) ورفيقتها ضحى تتمكنان من إعادة فتاة من الجيران إلى الدراسة، بعد جلسات دعم ومراجعة ومواد تحفيزية عرضتاها عليها، بما في ذلك مقاطع مصورة لأنشطة مدرسية ترفيهية.

لكن المبادرة لا تقف عند الإقناع. فعلى أرض الواقع، تستقبل مدارس "الفرصة الثانية" العائدين، وتوفر لهم تعليمًا مرنًا يجمع بين المواد الأكاديمية والتكوين المهني، في مجالات مثل الحلاقة، الطبخ، والصباغة، إلى جانب أنشطة ترفيهية تساعد على تنمية المهارات الاجتماعية والثقة بالنفس. من هذه المدارس، مدرسة أبي القاسم الشابي في تيفلت، التي تديرها جمعية السلام بشراكة مع وزارة التربية. هنا، يحاول 110 تلميذًا وتلميذة كتابة فصل جديد من حياتهم. أحدهم هو أمين عثمان (17 عامًا)، الذي ترك الدراسة لعامين، لكنه عاد بتشجيع من أصدقائه، وأصبح اليوم أحد سفراء الحملة.

يقول أمين بخجل وفخر "نجحت في إقناع ثلاثة من أصدقائي بالعودة... شعرت أن دوري أصبح أكبر من مجرد طالب." ومن بين الذين أعادهم أمين إلى المدرسة، آية بنزكي (18 عامًا)، التي غادرت التعليم بسبب صعوبات، وعادت بعد تردد، واليوم تحلم بنيل شهادة البكالوريا.

كذلك، تؤكد جيهان الرافعي (17 عامًا) أن الحملة منحتها "فرصة لا تعوّض،" وتقول "شعرت بالندم والفراغ بعد ترك المدرسة... وكنت في حاجة إلى من ينصحني."

وتشير الأرقام الرسمية إلى أن 70 في المئة من تلاميذ الفرصة الثانية يلتحقون بالتكوين المهني، بينما يعود 20 في المئة منهم إلى التعليم النظامي. ورغم أن هذه الأرقام مشجعة، إلا أن الطريق نحو تقليص التسرّب المدرسي بشكل جذري لا يزال طويلاً.

فهناك حاجة ماسة إلى مقاربة شاملة لا تقتصر على المبادرات المعنوية، بل تشمل تحسين جودة التعليم العمومي، وتعزيز الدعم الاجتماعي للأسر الفقيرة، وتطوير المناهج الدراسية، وزيادة الاستثمار في التعليم القروي، حيث تُسجل أعلى نسب التسرب.

كما يجب أن يُمنح التلاميذ دورًا أكبر في إدارة العملية التعليمية، باعتبارهم فاعلين حقيقيين، لا مجرد متلقين. فنجاح مبادرة "من الطفل إلى الطفل" يُظهر أن التمكين الشبابي قادر على إحداث تغيير حقيقي، حين يتم توجيهه ودعمه مؤسسيًا.

إن قصة تيفلت هي واحدة من عشرات القصص التي تدور كل يوم في قرى ومدن المغرب، حيث يقاوم الأطفال من أجل مستقبلهم ومستقبل أصدقائهم. وفي ظل التحديات البنيوية التي يعانيها قطاع التعليم، تظل قصص النجاح الصغيرة هذه شموعًا تضيء طريقًا طويلًا من العمل والإصلاح.

ربما لا يستطيع سعيد وضحى وهدى تغيير النظام التعليمي بأكمله، لكنهم نجحوا في تغيير حياة ثمانية أطفال، وهذا بحد ذاته بداية واعدة، تستحق أن تُحتذى.

التعليم تحت النار: معلمون وطلاب يتمسكون بالعلم في غزة

غزة (الأراضي المحتلة) - في قطاع محاصر بالنار، حيث تُقصف المدارس كما تُقصف البيوت، وتُمحى الجامعات كما تُمحى الأحلام، ولم يعد التعليم حقًا مسلّمًا به، بل بات شكلاً من أشكال الصمود.

لا فصول دراسية في غزة، ولا مختبرات، ولا سبورات، بل خيام، وهواتف محمولة، واتصال هشّ بالإنترنت، حيث يُصارع المعلمون والطلبة من خلال ذلك كي يُبقوا شعلة المعرفة متقدة وسط ظلام العدوان والنزوح.

تروي أستاذة مساقات اللغة الإنجليزية بجامعة القدس المفتوحة المحاضرة الجامعية هيا ياسر الأغا (40 عامًا)، في حديث خاص مع "وفا"، تفاصيل رحلتها التعليمية الصعبة في زمن العدوان قائلة "منذ بدأت مسيرتي الأكاديمية عام 2019 بعد تخرجي في الجامعة الإسلامية وتنقلي بين عدة وظائف، شعرت أن التعليم هو المجال الذي أستطيع أن أُعطي فيه أكثر".

وتتابع "مع بدء العدوان، ورغم كل التعقيدات، كانت لدي رغبة في الاستمرار، خاصة حين دعتنا إدارة الجامعة للتطوع في إعطاء المحاضرات عبر الإنترنت، فكنت من أوائل المبادرين."

وتتابع الأغا، وهي أم لثلاثة أبناء (إبراهيم 15 عاما)، و(سارة 14 عامًا)، و(إلياس 4 أعوام)، حديثها قائلة "بدأت أولى المحاضرات من منزلي في شرق محافظة خان يونس جنوب قطاع غزة، لكننا اضطررنا لإخلائه في الثاني من ديسمبر 2023 تحت تهديد جيش الاحتلال الإسرائيلي". وتتابع "انتقلت مؤقتًا إلى وسط المدينة، ثم إلى محافظة رفح بسبب القصف العنيف، وهناك بدأ الانقطاع القسري عن طلابي بسبب انعدام الكهرباء والإنترنت، وأبسط مقومات الحياة".

لكن أقسى ما مرت به لم يكن فقط النزوح، بل وفاة والدها، الذي فارق الحياة فجأة ولشدة حزنها انقطعت عن التعليم، ومع تدهور الأوضاع في رفح اضطرت في الثالث من مارس 2024 للنزوح مجددًا إلى منطقة المواصي على شاطئ خان يونس، وهناك واجهتها صعوبات كبيرة في الاتصال بالطلبة، سواء بسبب ضعف الإنترنت أو الوضع الأمني.

ورغم كل ذلك، لم تتخلَّ هيا عن رسالتها، فمع بداية يوليو، بدأت العودة التدريجية للتعليم. وتقول "من أصعب المواقف التي عايشتها استشهاد أحد طلابي، كريم مهنا من بلدة القرارة، ثم استشهاد مدير فرع الجامعة في خان يونس الدكتور جهاد المصري، كانت صدمة كبيرة لي وللطلاب."

وتؤكد أن المراجع والكتب لم تكن متوفرة، فأعتمد على مجهودها الشخصي في البحث عنها إلكترونيًا رغم ضعف الشبكة، ومن المفارقات أن أحد الفصول الدراسية كان يضم 93 طالبًا وطالبة، بينما ضم فصل آخر طالبة واحدة فقط، بسبب انقطاع الإنترنت عن مناطقهم.

وتشير إلى أنها كانت تنتقل من مكان إلى آخر لتحصل على اتصال بالإنترنت، يمكنها من إعطاء المحاضرات، وأحيانًا كانت تدرّس طلابها وفي الوقت نفسه تتابع دروس أطفالها، وترعى طفلها الصغير الذي لا يتجاوز عمره أربع سنوات، وفي كل ذلك، كان زوجها ياسر الأغا سندها الأول، يتولى مسؤوليات المنزل، ويوفر ما يستطيع من مأكل ومشرب داخل الخيمة التي تعيش فيها.

وتقول "بعد وفاة والدي، أصبحت أتابع رعاية والدتي، وكذلك أختي الكبرى من ذوي الاحتياجات الخاصة، اللّتين تقيمان في خيمة قرب خيمتي، ما يسّر عليّ متابعتهما يوميًا رغم كل الظروف".

وفي الجانب الآخر، تروي نادين خالد أبولبدة، طالبة في السنة الثانية من كلية طب الأسنان بجامعة فلسطين، تجربتها القاسية وسط العدوان قائلة "بدأت دراستي عام 2023، لكن العدوان أوقفت عامي الأول بالكامل، أدرس حاليًا من داخل خيمة مع عائلتي، وسط انقطاع الكهرباء وغياب الإنترنت، وباستخدام هاتفي الصغير فقط، أتابع محاضرات مسجلة وملفات بي دي أف".

دمر منزل عائلة نادين، وهي من سكان محافظة رفح جنوب قطاع غزة، من حي السلام، بالكامل نتيجة القصف، ما اضطرهم للنزوح إلى خيمة في منطقة المواصي، تحديدًا في العطّار غرب خان يونس.

ورغم ظروف النزوح القاسية، تحاول عائلتها دعمها في مواصلة تعليمها، إذ يسعى والدها خالد، الذي فقد مصدر رزقه بسبب العدوان، لتأمين ما تحتاجه من أوراق مطبوعة ومراجع دراسية، بينما تسعى والدتها إلى تهيئة أجواء مناسبة للدراسة قدر الإمكان داخل الخيمة، رغم شح الإمكانيات وصعوبة الأوضاع المعيشية.

وتضيف نادين "لا أستطيع شحن الهاتف بسهولة، ولا أملك أدوات التدريب العملي، وكل المهارات التي يُفترض أن أتعلمها يدويا لا يمكن ممارستها، أخرج أحيانا إلى أماكن بعيدة تُسمى مساحات عمل فقط لتحميل المحاضرات وتقديم الامتحانات".

وتشير إلى أن الجامعة تحاول دعم الطلبة، لكن هناك فجوة كبيرة في الفهم من بعض المحاضرين خارج القطاع. "يتعاملون معنا وكأن الأمور طبيعية، بينما نحن ندرس تحت القصف، وفي خيام بلا طعام أو ماء".

رغم هذا، تؤكد نادين أنها تتمسك بأملها "ما يدفعني للاستمرار هو إيماني العميق بأن التعليم هو طريقي لمستقبل أفضل. أحلم أن أكون طبيبة أسنان، أداوي الألم وأرسم الابتسامة، في مدينة سرق منها العدوان كل شيء لكن لن يسرقوا الأحلام".

> التعليم في غزة يتحول إلى مقاومة يومية، حيث يواصل المعلمون والطلاب الدراسة وسط القصف والنزوح وانعدام المقومات الأساسية

ومنذ بدء العدوان على قطاع غزة، في 7 أكتوبر 2023، دمرت قوات الاحتلال الإسرائيلي بشكل كلي (143) مدرسة وجامعة ومؤسسة تعليمية، وبشكل جزئي (366) أخرى.

وأسفرت عمليات القصف عن استشهاد أكثر من (13000) طالب وطالبة، وحرمان أكثر من (785000) من حقهم في التعليم، إضافة إلى استشهاد أكثر من (800) معلم وموظف تربوي، وإعدام أكثر من (150) أستاذًا جامعيًا وباحثًا.

لا يتخلّون عن الحلم

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

فروق جوهرية بين الجنسين في استجابة الجسم لحمية الكيتو

الرجال يظهرون فقدانا أكبر للوزن مقارنة بالنساء

النساء أقل تأثرا بحمية الكيتو

يشير الأطباء وخبراء التغذية إلى أن النساء أقل تأثرا بحمية الكيتو مقارنة بالرجال الذين يظهرون فقدانا أكبر للوزن وبناء أكثر للكتلة العضلية، في حين يزيد اتباع هذه الحمية من شعور النساء بالإجهاد العضلي. وتختلف هذه النتائج بين الجنسين بسبب عدة عوامل معقدة، منها توزيع الدهون والهرمونات الجنسية والدورة الشهرية ومصادر الطاقة.

لندن - كشفت دراسة حديثة عن وجود فروق جوهرية بين الجنسين في استجابة الجسم لحمية الكيتو، حيث أظهر الرجال فقدانا أكبر للوزن مقارنة بالنساء عند اتباع نفس البروتوكول الغذائي.

ومع انتشار السمنة كأحد أهم التحديات الصحية العالمية، حيث يتوقع تجاوز عدد المصابين 4 مليارات شخص بحلول 2035، تبرز الحاجة لتحسين إستراتيجيات إنقاص الوزن. وعلى الرغم من الشعبية الكبيرة لحمية الكيتو كأحد الحلول الفعالة، تظهر الدراسة الحالية أن فعاليتها تختلف بشكل كبير بين الجنسين.

ففي تجربة سريرية استمرت 45 يوما، فقد الرجال في المتوسط 11.63 في المئة من وزن أجسامهم مقابل 8.95 في المئة فقط لدى النساء. وهذا الفرق ليس هامشيا، بل يشير إلى وجود عوامل فسيولوجية عميقة تؤثر على استجابة الجسم لهذا النوع من الحميات.

وتعمل حمية الكيتو من خلال إحداث تغيير جذري في طريقة حصول الجسم على الطاقة. فعند تقليل الكربوهيدرات بشكل كبير، يضطر الجسم إلى البحث عن مصدر بديل للطاقة، فيلجأ إلى الدهون المخزنة، ما يؤدي إلى إنتاج الكيتونات. وهذه العملية تساعد على حرق الدهون من خلال تعزيز تكسير الدهون الحشوية، وكبح الشهية عبر تغيير هرمونات الجوع، وتعديل ميكروبيوم الأمعاء.

وتختلف النتائج بين الجنسين بسبب عدة عوامل معقدة منها توزيع الدهون والهرمونات الجنسية، والدورة الشهرية، ومصادر الطاقة.

وهناك اختلاف جوهري في طريقة توزيع الدهون في الجسم بين الرجال والنساء. فالرجال عادة ما يخزنون الدهون في منطقة البطن (الدهون الحشوية)، وهي أكثر استجابة لعملية التمثيل الغذائي أثناء حمية الكيتو. بينما تميل النساء إلى تخزين الدهون تحت الجلد، وهي أكثر مقاومة لعملية التكسير.

وتلعب الهرمونات الجنسية دورا محوريا في هذه الاختلافات. فهرمون الإستروجين الأنثوي يعمل على زيادة حساسية المستقبلات التي تثبط عملية تكسير الدهون، ما يجعل فقدان الوزن أكثر صعوبة لدى النساء. في المقابل، يعزز التستوستيرون الذكري عملية التمثيل الغذائي للدهون.

وتضيف التقلبات الهرمونية خلال الدورة الشهرية طبقة أخرى من التعقيد، حيث تؤثر على حساسية الأنسولين والرغبة الشديدة في تناول الكربوهيدرات والقدرة على الحفاظ على حالة الكيتوزية.

وتميل النساء لاستخدام الكربوهيدرات كمصدر طاقة رئيسي بينما يعتمد الرجال أكثر على أكسدة الأحماض الدهنية.

وقد أظهرت الدراسات أن حمية الكيتو تساعد الرجال على بناء الكتلة العضلية، في حين أنها قد تزيد من شعور النساء بالإجهاد العضلي، ما قد يؤثر على التزامهن بالحمية وقدرتهن على ممارسة الرياضة، وهي عنصر أساسي في أي برنامج ناجح لإنقاص الوزن.

وهذه النتائج تفتح الباب أمام نهج أكثر تخصيصا في مجال التغذية والحميات الغذائية. فبدلا من اعتبار حمية الكيتو (أو أي حمية أخرى) حلا يناسب الجميع، تصبح ضرورية مراعاة الفروق الفسيولوجية بين الجنسين، وربما حتى التباينات الفردية داخل كل مجموعة.

> **حمية الكيتو تساعد الرجال على بناء الكتلة العضلية، في حين أنها قد تزيد من شعور النساء بالإجهاد العضلي**

كما تؤكد على أهمية إجراء المزيد من الأبحاث لفهم الآليات الدقيقة وراء هذه الاختلافات، خاصة في ظل النقص الحالي في الدراسات التي تشمل مجموعات عرقية متنوعة.

ونظام الكيتو أو كيتو دايت هو أحد رجيمات إنقاص الوزن التي تعتمد على تقليل نسبة الكربوهيدرات في النظام الغذائي بشكل كبير، والتركيز على الدهون، وتساعد الجسم على التخلص من الوزن الزائد.

ويحد نظام الكيتو الصحي كمية الكربوهيدرات التي يتناولها الشخص إلى 50 غراما يومياً فقط، ويعتمد كثيرون على 15 غراما فقط، مما يجعل الكثير من الأشخاص في حيرة حول الطعام الذي يستطيعون تناوله، وكيف يمكن إعداد وجبات كيتو دايت.

ويرى المختصون أن خفض الكربوهيدرات يضع الجسم في حالة استقلابية تسمى الكيتوزية، فيصبح فعالًا في حرق الدهون، للحصول على الطاقة. كما أنه يحول الدهون إلى كيتونات في الكبد، والتي توفر الطاقة للدماغ. ويمكن للوجبات الغذائية الكيتونية أن تسبب انخفاضًا في مستويات السكر، والأنسولين في الدم، بالإضافة إلى عدد من الفوائد الصحية الأخرى.

والنظام الغذائي الكيتوني نمط غني بالدهون، معتدل في نسبة البروتين، ومنخفض جدًا في نسبة الكربوهيدرات؛ بحيث تكون أقل من 50 غرامًا يوميًا، وهو ما يخالف معظم توصيات التغذية الصحية العامة.

وتُعد معظم الأطعمة الغنية بالمغذيات مصادر مهمة للكربوهيدرات، بما في ذلك الفواكه، والخضراوات، والحبوب الكاملة، والحليب، واللبن، كما أن الكربوهيدرات هي المصدر الرئيسي الذي يمد الجسم بالطاقة. وعند عدم توفر كمية كافية من الكربوهيدرات؛ للحصول على الطاقة، فإن الجسم يعمل على تكسير الدهون، ويحيلها إلى كيتونات. وتصبح الكيتونات هي مصدر الطاقة الرئيسي للجسم؛ حيث توفر الطاقة للقلب، والكلى، والعضلات الأخرى. كما يستخدم الجسم الكيتونات مصدرًا بديلًا للطاقة في المخ، ومن هنا أتى اسم الحمية (الكيتونية).

ويشير الخبراء إلى أن النساء أقل تأثرا بالحمية الكيتونية، ذلك أنهن عموما يملن إلى أن يكن أكثر حساسية لتأثيرات الأنظمة الغذائية المختلفة مقارنة بالرجال، سواء كانت قليلة الدسم، أو عالية البروتين، أو نباتية، أو كيتو. وهذا يعني أن التغييرات في النظام الغذائي قد تكون لها تأثيرات مختلفة على النساء وقد تتطلب تعديلات أو اهتمامًا خاصا.

وتلعب الهرمونات الأنثوية دورا هاما في كيفية استجابة الجسم لأنظمة غذائية مختلفة. وقد تؤثر هذه الهرمونات على عملية الأيض والشهية ومستويات الطاقة لدى المرأة.

وقد تحتاج النساء إلى كميات مختلفة من بعض العناصر الغذائية مقارنة بالرجال، خاصة خلال مراحل معينة من حياتهن مثل الحمل أو الرضاعة.

كما قد تختلف استجابة النساء للتمارين الرياضية والأنظمة الغذائية المرتبطة بها. وقد يكون من الضروري تعديل النظام الغذائي بناءً على مستوى النشاط البدني للمرأة.

وقد يكون لبعض الأنظمة الغذائية تأثير على الصحة العقلية للمرأة، مثل تقلبات المزاج أو القلق. وينصح الخبراء بأخذ هذا الجانب في الاعتبار عند اختيار النظام الغذائي.

وقد تواجه بعض النساء صعوبة في الحفاظ على نظام الكيتو بسبب تأثيره على الهرمونات والحيض.

وقد تحتاج النساء إلى التأكد من حصولهن على ما يكفي من بعض العناصر الغذائية مثل الحديد وفيتامين "ب 12" عند اتباع نظام غذائي نباتي.

التوتر والاكتئاب سببان رئيسيان لآلام الظهر

موسكو - تعد آلام الظهر من الحالات الشائعة، حتى أن الكثيرين لا يولون أي اهتمام لأول ناقوس خطر يدقه الجسم. وقد يكون السبب مرض أحد أعضاء الجسم الداخلية، أو مرضا عصبيا أو إصابة، لكن أحدث الدراسات أظهرت أن الحالة المزاجية يمكن أن تكون عاملا من عوامل ألم الظهر.

وأشارت الدكتورة يلينا بافلوفا إلى أن التوتر والاكتئاب قد يسببان آلام الظهر لأن هذه الحالات تؤدي إلى نقص العناصر الغذائية اللازمة لاسترخاء العضلات، ما يزيد الشعور بالألم.

ووفقا لها، لا تحدث آلام الظهر من تلقاء نفسها، بل ترتبط عادة باضطرابات تصيب الجهاز العصبي، بما فيها التوتر والاكتئاب. وتؤدي هذه الحالات إلى استهلاك كميات كبيرة من العناصر الغذائية التي تريح العضلات. وإذا لم يتخلص الشخص من التوتر، فإنه سيستمر ويزداد مع الألم.

وأشارت الطبيبة إلى أن الاكتئاب ليس مجرد حالة مزاجية مكتئبة، بل هو حالة تحدث بسبب التوتر المطول. ووفقا لها، يستنزف احتياطيات فيتامينات "ب"، التي تؤثر على الشعور بالألم.

وقالت: "ليس الاكتئاب مجرد حالة نفسية من سوء المزاج مصحوبة بالقلق واللامبالاة تجاه كل شيء. بل هي حالة تحدث بعد إجهاد طويل، حيث يستنزف الجسم كميات كبيرة من العناصر الغذائية، بما في ذلك فيتامينات مجموعة 'ب' و'ب9' و'ب12' و'ب6' التي بدونها يزداد الشعور بألم الظهر."

وتصاحب الإجهاد والاكتئاب، اضطرابات في النوم وانخفاض في مستوى الطاقة. لذلك، لحل مشكلة آلام الظهر، تجب معالجة المشكلة بشكل شامل.

ومن جانبها تشير الدكتورة أولغا تشيجيفسكايا إلى أن الإجهاد الشديد والمزمن يخفض عتبة الألم، ويزيد من خطر آلام الظهر والمفاصل. بالإضافة إلى ذلك، يؤدي التوتر العصبي إلى تشنجات عضلية تضغط على الأوعية الدموية والأعصاب.

> **الاكتئاب هو حالة تحدث بسبب التوتر المطول، وهو يستنزف احتياطيات فيتامينات «ب»، التي تؤثر على الشعور بالألم**

يمكن أن يؤدي التوتر والإجهاد إلى الالتهاب وتشنجات العضلات والتوتر في الظهر، وهذا يمكن أن يسبب الألم في الظهر أو أسفل الظهر. وبشكل عام، يمكن ربط التوتر بألم أسفل الظهر بعدة طرق حيث يمكن أن يؤدي الإجهاد إلى توتر عضلات الظهر، مما قد يؤدي إلى تصلبها وألمها.

كما يمكن أن يؤدي الإجهاد النفسي المزمن إلى التهاب في جميع أنحاء الجسم بما في ذلك الظهر مما قد يسبب الألم.

وتختلف آلام الظهر الناجمة عن التوتر من شخص لآخر وقد تظهر بشكل مختلف اعتمادا على موقعها. فغالبا ما يتميز ألم أسفل الظهر بألم خفيف أو حاد، أو تصلب، أو تشنجات عضلية، وقد يمتد أيضا إلى الساقين أو الأرداف.

ويمكن أن يسبب الانزلاق الغضروفي أيضا ألم الظهر.

تكون الأقراص الموجودة بين الفقرات في الظهر عرضة للإصابة، ويزداد هذا الخطر مع التقدم في السن.

يمكن للجزء الخارجي من الأقراص أن يتمزق أو ينفتق.

يحدث ذلك عندما يدفع الغضروف المحيط بالقرص ضد الحبل الشوكي أو جذور الأعصاب.

تشمل الأسباب المحتملة الصدمة أو التغيرات التنكسية مع مرور الوقت.

آلام الظهر تؤثر على جودة الحياة

الصوم باليوم البديل أكثر فاعلية في تحسين المؤشرات الأيضية

واشنطن - يعد الصيام باليوم البديل من الحميات التي يقبل على اتباعها الكثير من الأشخاص، نظرًا لقدرته الفعالة على إنقاص الوزن وحرق دهون الجسم بشكل صحي.

ويشترط في صيام اليوم البديل، التوقف عن الطعام لمدة 24 ساعة، ثم الإقبال على تناول ما يشتهيه الشخص في اليوم التالي.

ويُسمح بتناول المشروبات الخالية من السعرات الحرارية خلال ساعات الصيام، مثل الماء والقهوة غير المحلاة والشاي دون إضافة السكر إليه.

وفي حالة اتباع صيام اليوم البديل المعدل، يمكن خلال ساعات الصيام تناول وجبة، بشرط أن تبلغ سعراتها الحرارية 500 سعرة حرارية فقط.

وبرزت دراسة حديثة قدمت رؤية جديدة حول فعالية أنظمة الصيام المختلفة، مظهرة نتائج قد تغير الطريقة التي نتعامل بها مع إدارة الوزن والصحة الأيضية.

وكشفت الدراسة التي شملت تحليلا دقيقا لـ99 تجربة سريرية بمشاركة 6582 شخصا، أن نظام الصوم باليوم البديل، حيث يصوم الشخص يوما كاملا ويتناول الطعام في اليوم التالي، قد يكون أكثر فعالية من غيره في تحسين المؤشرات الأيضية.

وقد أظهر هذا النظام تحديدا قدرة على خفض الوزن بشكل أفضل من تقييد السعرات المستمر، كما حقق نتائج ملحوظة في تحسين مستويات الكوليسترول الضار.

مع ذلك حذر الخبراء من التسرع في اعتبار هذا النظام حلا سحريا. فبالرغم من النتائج الواعدة، لم يصل أي من الأنظمة المدروسة إلى عتبة فقدان الوزن السريري المهم (أكثر من كيلوغرامين) للأشخاص الذين يعانون من السمنة.

وهذا التحفظ العلمي يدفع الخبراء إلى المطالبة بإجراء دراسات أطول مدة وأكثر شمولية، تمتد لأكثر من عام كامل، لتقييم الآثار بعيدة المدى لهذه الأنظمة الغذائية على الصحة القلبية والتمثيل الغذائي.

ويرى الباحثون أن نظام الصوم باليوم البديل يمكن أن يكون إضافة قيمة لمواجهة السمنة والمشاكل الأيضية، لكنه ليس بديلا عن الأنظمة الغذائية الأخرى.

وأظهرت دراسات أجريت على بالغين يعانون من السمنة، أن الصيام باليوم البديل يساعد على فقدان الوزن بنسبة تتراوح من 3 إلى 8 في المئة في غضون 12 أسبوعًا على الأكثر.

ونظام صيام اليوم البديل مع ممارسة تمارين التحمل قد يساعد على خفض مؤشر كتلة الجسم بمقدار الضعف، مقارنة باتباعه دون الاهتمام بأداء الرياضة.

ورغم قدرة صيام اليوم البديل على إنقاص الوزن من الدهون، إلا أن الأبحاث الحديثة أثبتت أنه ليس أكثر فعالية من نظام تقييد السعرات الحرارية التقليدي في التخسيس والحفاظ على عضلات الجسم.

وإضافة إلى فقدان الوزن، يقدم صيام اليوم البديل فوائد مذهلة لصحة الجسم، أهمها الوقاية من السكري وتقليل خطر الإصابة بأمراض القلب.

> **الحمية خفضت الوزن بشكل أفضل من تقييد السعرات، كما حققت نتائج ملحوظة في تحسين مستويات الكوليسترول**

وقد يساعد صيام اليوم البديل على تقليل خطر الإصابة بداء السكري من النوع الثاني بشكل طفيف بين الأشخاص الذين يعانون من زيادة الوزن، بحسب بعض الدراسات.

وكشفت أبحاث، أن صيام اليوم البديل أكثر قدرة على الحد من الإصابة بالنمط الثاني من السكري مقارنة بنظام تقييد السعرات الحرارية، ويرجع السبب إلى انخفاض مستويات الأنسولين في الدم خلال ساعات الصوم.

في بعض الدراسات، وجد الباحثون أن فقدان الوزن عن طريق صيام اليوم البديل من شأنه أن يحد من الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، باعتبار أن السمنة المفرطة من عوامل الخطر الخاصة بها.

كما كشف باحثون في جامعة "شيكاغو" الأميركية، مؤخرا، عن فائدة عظيمة لاتباع نظام صيام "اليوم البديل."

وفي الدراسة التي نشرت في مجلة "سيل ميتابوليزم" الطبية، قال باحثو جامعة "شيكاغو"، إن اتباع صيام اليوم البديل وممارسة الرياضة، يساعدان في تحسين صحة المرضى الذين يعانون من مرض الكبد الدهني غير الناجم عن شرب الكحوليات.

وقادت الباحثة كريستينا فارادي التجربة السريرية التي تم خلالها تقسيم المشاركين الذين كانوا يعانون من مرض الكبد الدهني لأربع مجموعات: مجموعة صيام ليوم بديل، مجموعة تمارين هوائية، ومجموعة تتبع النظامين السابقين، وأخيرا مجموعة ضابطة لم يجر المشاركون فيها أي تغييرات على سلوكياتهم.

وأشارت فارادي إلى أنه "عندما قارنا نتائج مجموعات دراستنا، وجدنا بوضوح أن أكثر المرضى تحسنا كانوا في المجموعة التي اتبعت نظام الصيام اليومي البديل ومارست الرياضة خمسة أيام في الأسبوع.

وأضافت: "الأشخاص الذين اتبعوا نظام الصيام أو مارسوا الرياضة فقط لم يروا نفس النتائج، مما يعزز أهمية هذين التعديلين غير المكلفين نسبيا في نمط الحياة على الصحة العامة ومكافحة الأمراض المزمنة مثل مرض الكبد الدهني."

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

المقاهي اليمنية في الولايات المتحدة مساحة المهاجرين لاستعادة تقاليد وطنهم

ثقافة القهوة التقليدية تمتزج بأماكن عصرية جذابة تناسب الشباب

نكهة من الوطن

وضع المهاجرون اليمنيون بصمة نجاح في صناعة قهوتهم التقليدية والانتشار في الولايات المتحدة، التي شهدت في السنوات الأخيرة افتتاح المئات من المقاهي اليمنية، التي تعكس ثقافة المهاجرين الذين يبحثون عن مساحة تمكنهم من عيش تقاليدهم بنكهة قادمة من الوطن.

ميشيغان (الولايات المتحدة) - أصبحت المقاهي التي يملكها الأميركيون اليمنيون ركنا أساسيا في حياة الكثير من المهاجرين، لاسيما في مناطق مثل ديربورن، الضاحية التابعة لمدينة ديترويت والتي تُعدّ ذات أغلبية عربية أميركية. وقد انتقل حمزة ناصر إلى هناك في أوائل التسعينات، وهو في السادسة من عمره، قادما من اليمن، الذي يُعدّ أحد المواطن الأصلية لثقافة القهوة، بوصفاتها وطرق تخميرها التي تعود إلى قرون، وبحبوبها البنية ذات القيمة العالية.

وسلطت صحيفة نيويورك تايمز في تقرير الضوء على كواليس هذا المجتمع العربي داخل الولايات المتحدة، مع التطورات في المنطقة التي انعكست مباشرة على أبناء اليمنيين في الولايات المتحدة ضمن تجمعاتهم التي تعتبر فضاء بديلا عن الوطن.

والمقاهي اليمنية، خاصة في مناطق مثل ديربورن ذات الكثافة العربية، لم تعد فقط ملتقى للمجتمعات اليمنية، بل تحوّلت إلى وجهة محببة لجمهور أوسع. وتعكس هذه المقاهي مزيجا من الأصالة والحداثة، حيث تمتزج ثقافة القهوة التقليدية بمساحات عصرية جذابة تشبه أجواء صالات المطارات أو قاعات الجامعات.

قبل أسبوعين، عندما علم ناصر بقصف الجيش الإسرائيلي لميناء الحديدة اليمني، أدرك أنه يواجه مشكلة. فقد كانت شحنات القهوة الشهرية التي يأتي بها من بلاده تتضمن بالفعل رحلة شاقة من المناطق الجبلية الداخلية في البلاد إلى مقهاه في ديربورن، ميشيغان، في ظل وجود فصائل متحاربة برا ونيران المتمردين بحرا. والآن أصبح طريقهم المعتاد مسدودا.

> **موجة طلب متزايدة على «أماكن ثالثة» بعيدا عن المنزل والعمل مفتوحة لساعات متأخرة ولا تقدم فيها المشروبات الكحولية**

وقال ناصر "الأمر أصبح مرهقا بعض الشيء." فالمقهى اليمني يتطلب قهوة يمنية، وناصر الذي يخطط لافتتاح المزيد من المقاهي اليمنية، يحتاج إلى المزيد من حبوب البن.

وافتتح الشاب اليمني وهو سائق شاحنة سابق، أول مقهى باسم "حراز" له في ديربورن قبل أربع سنوات. ومنذ ذلك الحين، انتقل من نقل قطع غيار سيارات مثل فورد إلى شراء مبنى مساحته 70 ألف قدم مربعة في ديربورن يضم نماذج أولية لسيارات الشركة.

ويضم مقره الرئيسي الآن محمصتين صناعيتين ومخبزا، حيث وصل مؤخرا طاهي معجنات من فرنسا لتدريب موظفيه. وفي مكتبه في الطابق العلوي، يقوم فريق الامتياز التابع له بتحليل الأرقام حول المكان التالي الذي يجب أن يفتتحه، لتكون النتيجة على نحو متزايد، "في كل مكان".

ناصر، الذي ينوي مضاعفة فروعه إلى 60 مقهى خلال الأشهر الستة المقبلة، سعى في البداية إلى افتتاح مقاه في الأحياء العربية أو قرب المساجد. لكن بحثه اتسع ليشمل أي مكان يضم شريحة واسعة ومتنوعة من الشباب، أو حيث تسهر العائلات حتى وقت متأخر من الليل وتشتري عدة جولات من لاتيه الفستق بسعر 7.95 دولار.

ويُعد اليمن الموطن الأصلي لثقافة القهوة، بوصفات وطرق تخمير عريقة، وحبوبها الترابية ذات قيمة كبيرة، وبالنسبة لناصر، كان دخول المقاهي التي يديرها المهاجرون، حيث كان رجال مسنون يلعبون الورق لساعات، يُصدرون الأوامر بصوت عال وسط أعمدة الدخان، بمثابة زيارة إلى الوطن.

لكنه وغيره من رواد الأعمال اكتشفوا جاذبيةً أوسع بكثير، مستفيدين من موجة طلب متزايد على مستوى البلاد على "أماكن ثالثة"؛ أماكن تجمع خارج المنزل والعمل، مفتوحة لساعات متأخرة ولا تُقدّم فيها المشروبات الكحولية.

وتُسهم المقاهي اليمنية في إحياء ثقافة المقاهي المسائية التي لم تشاهد بكثرة في الولايات المتحدة منذ حقبة مسلسل "فريندز". وقد تم تحديث مظهرها في "حراز"، حيث تلتقي الجماليات البراقة لصالة كبار الشخصيات في المطار بحيوية اتحاد الطلاب خلال أسبوع الامتحانات النهائية في مكان يمكن فيه العمل، والدردشة، أو المغازلة تحت إضاءة تُناسب إنستغرام، حتى وقت متأخر من الليل.

وقال بهاء قدورة، مستشار الامتيازات التجارية الذي ساعد ناصر في وضع إستراتيجية توسعه السريع، "هناك فجوة واضحة في السوق. الناس بحاجة فقط إلى مكان لطيف لقضاء وقت ممتع."

وبوجود سلاسل أخرى مثل قهوة "قمرية" و"بيت قهوة"، تستغل "حراز" هذه الفرصة من خلال منح الامتيازات التجارية. وتأسست هذه السلاسل الثلاث على بعد أميال من بعضها البعض في ضواحي ميشيغان.

وإلى جانب ساعات العمل المتأخرة، عادةً من الحادية عشرة مساءً أو بعدها، تتشارك هذه السلاسل في قائمة طعامها أصنافا أساسية، مثل الشاي بنكهة الهيل ولاتيه الفستق. (تستمد هذه العلامات التجارية دعمها من مراجعي تيك توك الذين يُسرّهم تحليل الفروق الدقيقة في النكهات والأجواء). كما يشارك المراجعون شكاوى حول ارتفاع سعر اللاتيه وطول انتظار الشاي خلال زحام مساء الجمعة.

ولم يواجه ناصر صعوبة تُذكر في جذب أصحاب الامتيازات الراغبين في إنفاق ما يصل إلى 500 ألف دولار أميركي لافتتاح فروع جديدة (بما في ذلك رسوم امتياز قدرها 50 ألف دولار أميركي)، سواء كانوا مالكين فرديين أو مستثمرين كبارا ممن يفتتحون عادة فروعا لمطاعم مثل تشيك فيل – أي أو بافالو وايلد وينجز. ويشكل اليمنيون نسبة ضئيلة من الملاك الجدد. قال ناصر "أعمل مع رجل يُدعى كودي في كولورادو. هل تصدق ذلك؟"

ووقّع دان تيبمان مستثمر عقاري تجاري، مؤخرا أول عقد إيجار له مع مقهى يمني في شمال كاليفورنيا، ويجري حاليا مفاوضات لعقد عدة عقود أخرى. وقد سمع لأول مرة عن القهوة اليمنية من خلال تقارير عن مواقف السيارات المزدحمة في مراكز التسوق التي كانت تُعتبر سابقا مناطق نائية. وقال "لم أشهد في مسيرتي المهنية مثل هذا الاهتمام المفاجئ بمفهوم تجارة التجزئة." وأضاف أنه إذا كان هناك سقف لهذا التوجه، فهو لا يراه بعد. لكن قلة قليلة من العلامات التجارية ستصمد في النهاية.

وذكر ناصر أنه لا يمانع المنافسة (مع أنه يندم على عدم تسجيل براءة اختراع لوصفة لاتيه الفستق). وتشمل أحلامه إضافة المئات من الأنواع الأخرى خلال السنوات القليلة القادمة، والتوسع خارجيا، وإدراج "حراز" في بورصة الأوراق المالية، تماما مثل ستاربكس.

وكان لديه أحلام أخرى سابقا، حيث بدأ العمل في مجال النقل بالشاحنات بعد أن سئم من إدارة محطة وقود في شرق ديترويت في العشرينات من عمره. كان الدخل جيدا بما يكفي لشراء ثلاث شاحنات نقل ثقيل إضافية وتوظيف سائقين، وبدأ مشروعا جانبيا في استيراد القهوة اليمنية من خلال علاقات عائلية. عندما قرر ناصر وزوجته أن الوقت قد حان ليتوقف عن القيادة، كان افتتاح مقهى أمرا منطقيا.

وعلى الطريق، كان يتوقف كثيرا في ستاربكس وسلاسل المقاهي الأخرى، غالبا للهروب من عزلة سيارات الأجرة. لكنه لاحظ أنهم يركزون على الكفاءة في الدخول والخروج على الراحة. فقرر أن يكون مقهاه الخاص مكانا للاسترخاء والتواصل الاجتماعي، على غرار المقاهي القديمة التي نشأ فيها، ولكن مع تحديثه بمظهر عصري شاهده أثناء زيارة عائلته في دبي. وقال ناصر "أردنا أن نضفي على المكان أجواءً نظيفة وآمنة. إنها تعني: أنت بأمان هنا."

وجد هو وزوجته موقعا، وهو مكتب تأمين قديم على الشارع الرئيسي في ديربورن، حيث ركّبا بارا ببلاطات قرص العسل تُذكّر بـ"خلية النحل"، وهو خبز يمني محشو بالجبن، وحوّلا الجدران الصلبة إلى نوافذ واسعة متعددة الألواح، ليس فقط لدخول الضوء، بل أيضا لإخراجه، ليتوهج المتجر ويجذب الزبائن ليلا.

وفي يوم الافتتاح، اصطف الزبائن لساعات قبل الافتتاح. تذكر ناصر شكوى واحدة: زبائنه، والكثير منهم مهاجرون، كانوا صارمين، يتوقعون شوكا ذهبية كالتي في الوطن، وليست بلاستيكية. وقال "إذا استطعت صنعها في ديربورن، فبإمكانك صنعها في أي مكان." (أصبحت شوك الفرع الآن ذهبية).

وأثارت تصريحات ناصر الصريحة في الشؤون السياسية والدينية، بما في ذلك تغريدات قديمة مسيئة للشيعة، جدلا محليا بين الحين والآخر. (اعتذر ناصر وهو سني، وعقد زعماء دينيون محليون تجمعا للوحدة في موقف سياراته). لكن السكان المحليين استمروا في التوافد، وكذلك الاتصالات بشأن افتتاح فروع لسلسلة المقاهي.

وعلق ناصر بأن رسوم الامتياز وعائداته البالغة 4 في المئة ساعدته على التوسع في المقر الرئيسي، دون الحاجة إلى مستثمرين خارجيين. إلى جانب مشاكل الشحن (حيث تم تحويل مسار القهوة من الحديدة إلى عدن)، وتشمل انشغالاته الرسوم الجمركية – التي تزيد أسعار القهوة بمقدار 1.20 دولار للفنجان – واتجاهات المبيعات مثل شوكولاتة دبي، وهي حلوى مشهورة على تيك توك مصنوعة من الفستق والكنافة والطحينة. وقال ناصر "إنها منتشرة بشكل كبير الآن. لا أعرف متى ستختفي."

حتى الآن، لا تزال الشوكولاتة تباع يوميا في فيلادلفيا، حيث افتتحت فرح خان وزوجها حمزة شيخ أول فرع لهما في "حراز". فكّرا في افتتاح متجر شاي وسمبوسة مستوحى من تراثهما الباكستاني المشترك، لكنهما انبهرا بزيارة مقهى يمني، وحرصا على زيارة جميع العلامات التجارية في ميشيغان. قالا إن قرارهما استند إلى أيهما يُقدّم أفضل قهوة وأفضل آفاق نمو.

وكان افتتاح أول فرع لهما في "حراز"، الذي حل محل ستاربكس، بمثابة عاصفة، فقد قضت وقتا أطول بعيدا عن أطفالها مما كان متوقعا، كما قالت خان، وبذلت جهدا أكبر لمواكبة الحشود دون إرهاق الموظفين. لكن الزوجين كانا يخططان بالفعل لافتتاح فرعين جديدين. فقد كانت هناك شائعات، في نهاية المطاف، عن منافسين يتطلعون إلى فتح فروع قريبة. وذكرت "لحسن الحظ، نحن الأوائل."

ومن بين المقاهي اليمنية أيضا، يوجد "بيت القهوة" الشهير، الذي أسسه إبراهيم الحصباني في ميشيغان قبل تسع سنوات، واليوم ينتشر أكثر من عشرين فرعا من نيويورك حتى تكساس، مع خطط للمزيد من الفروع في المستقبل.

ويسعى الحصباني من خلال هذه المقاهي إلى مشاركة ثقافة بلاده وتاريخها من خلال تقديم القهوة اليمنية المميزة، والتي تأتي من مزارعين محليين. ويوضح أن "بيت القهوة" يقدم مجموعة متنوعة من المشروبات بما في ذلك القهوة الإسبريسو واللاتيه، فضلا عن الحلويات التقليدية.

وفي تعليقه على القهوة اليمنية، أكد فيون بولر، كاتب مختص في صناعة القهوة، أن القهوة تتمتع بجودة عالية، مشيرا إلى أن القهوة التي وصلت مؤخرا كانت من بين الأفضل. ومع ذلك، أشار بولر إلى ارتفاع أسعار القهوة عالميا نتيجة تغير المناخ، مما يؤثر على الصادرات بشكل كبير.

كما أضاف أن معظم القهوة المستهلكة في الولايات المتحدة تأتي من أميركا اللاتينية، وهي تخضع لنفس الرسوم الجمركية المفروضة على القهوة اليمنية. ويقوم الحصباني بتأمين قهوته من مزرعة عائلية قرب صنعاء، رغم التحديات اللوجستية التي تسببت فيها الحرب، حيث يستغرق نقل الشحنات وقتا أطول بكثير بسبب الأوضاع الأمنية.

من جهته، عبّر مختار الخنشلي، رجل الأعمال والكاتب، عن قلقه من أن الدعم لمزارعي البن اليمنيين قد يعرضهم لمخاطر اتهامات بالإرهاب. وأكد أن 90 في المئة من قهوة اليمن تأتي من المناطق التي يسيطر عليها الحوثيون، مما يزيد من تعقيد الوضع.

وأكد الحصباني على أهمية أن يكون "بيت القهوة" مكانا يرحب بالجميع، ويساعد الأميركيين على التعرف على الثقافة اليمنية من خلال القهوة، بعيدا عن الصورة السلبية المرتبطة بالحرب والمجاعة.

> **المقاهي اليمنية تسهم في إحياء ثقافة المقاهي المسائية التي لم تشاهد بكثرة في الولايات المتحدة منذ حقبة مسلسل «فريندز»**

وجهة محببة لجمهور أوسع

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

بطولة ويمبلدون بحلتها الجديدة تستعد للم شمل عمالقة التنس

● ألكاراز يبدأ حملة الدفاع عن لقبه بمواجهة فونييني ● منافسة مفتوحة على مصراعيها لدى السيدات

تتّجه أنظار عشّاق التنس العالمي إلى العاصمة البريطانية لندن، حيث بدأ العد التنازلي لانطلاق بطولة ويمبلدون 2025، ثالث بطولات "غراند سلام" لهذا الموسم، وسط ترقّب خاص لمشوار الثنائي المتصدر تصنيف اللعبة حاليا، الإيطالي يانيك سينر (23 عاما) والإسباني كارلوس ألكاراز (22 عاما)، وبعد أيام قليلة فقط على نهائي أسطوري جمعهما في رولان غاروس، خطف النجمان مجددا الأضواء حين التقيا على أرض الملعب الرئيسي في مشهد يخطف الأنظار.

ألكاراز في ثوب البطل

لندن - من المؤكد أن بطولة ويمبلدون، ثالثة البطولات الأربع الكبرى في كرة المضرب، ستكون مثالية عند انطلاقها الأسبوع المقبل، لكن ملاعبها لن تعود كما كانت في غياب حكام الخطوط. لأول مرة في تاريخ البطولة العريقة الممتد على مدار 148 عاما، سيغيب الرجال والنساء المتمركزون في الجزء الخلفي من الملاعب والذين يصرخون "آوت" و"فولت" في كل مرة تكون فيها الكرة خارج الخطوط.

وأعلنت بطولة الغراند سلام في أكتوبر الماضي أنها ستتخلى عن حكامها وملابسهم الأنيقة، وستعتمد على نظام إلكتروني لحكام الخطوط (إي.أل.سي) بدءا من عام 2025، متبعة التوجه العام في رياضة كرة المضرب. وسبقت بطولتا أستراليا والولايات المتحدة الكبريان ويمبلدون إلى هذا النهج، وبقيت بطولة فرنسا المفتوحة الوحيدة من بين بطولات الغراند سلام الأربع الكبرى التي لا تزال تستخدم حكاما بشريين للقيام بهذا الدور.

> **سابالينكا تغازل لقبها الرابع في البطولات، حيث تسعى إلى محو ذكريات خسارتيها المؤلمتين الأخيرتين في عام 2025**

وتُعرف ويمبلدون بتقاليدها العريقة، بدءا من الزي الأبيض الذي يرتديه اللاعبون، وصولا إلى الفراولة والكريمة التي تقدم للجماهير، والزهور الفخمة التي تزين أرض الملاعب. لكن على نادي عموم إنجلترا أن يوازن بين هذا التراث الفريد والابتكار. أكد مدير البطولة جيمي بيكر على هذه النقطة في مقابلة مع وكالة فرانس برس هذا الأسبوع. قال اللاعب المحترف السابق "نحن مندمجون تماما في منظومة التنس الأوسع، وصناعة التنس الأوسع، في كل ما نقوم به. وهذا أمر كنا نتحدث عنه لسنوات عديدة، لأننا كنا نرى كيف تسير الأمور." وأضاف "وكما تتخيلون، بالنسبة لنا، فإن الموازنة بين التقاليد والابتكار أمر نأخذه في الاعتبار في كل قرار نتخذه تقريبا." يؤكد بيكر أن ويمبلدون حريصة على حماية تراثها، بما في ذلك قاعدة الملابس البيضاء "غير القابلة للمساس" والتي يقول إنها تُطبق الآن بصرامة أكبر مما كانت عليه قبل عقدين من الزمن.

نزاهة المنافسة

لكن المصنف البريطاني الثاني سابقا أكد أن نزاهة المنافسة هي العنصر الأهم. قال "أولا وقبل كل شيء، علينا أن نحسن تنظيم جوانب المنافسة. هذا جزء بالغ الأهمية من كل شيء. ويتوقع اللاعبون الآن، في جميع أنحاء اللعبة الاحترافية على أعلى مستوى، أن تعلن نتائج الخطوط بهذه الطريقة."

يعتقد بيكر أن اللاعبين الذين اعتادوا على هذه التقنية، هم أقل من سيلاحظ التغيير. اتخذ قرار التحول إلى النظام الإلكتروني الذي يعتمد على تقنية تتبع الكرة وإعلان نتائج الخطوط الحالية، بعد اختبارات مكثفة في بطولة العام الماضي. منذ عام 2007، ساعدت تقنية "عين الصقر" الحكام في ويمبلدون على ملاعب معينة، حيث تمكن اللاعبون من الطعن في عدد من القرارات.

أضافت هذه التقنية عنصرا جديدا للمشاهدين. سادت حالة من الحماس والإثارة عندما أشار الحكم إلى إعادة عرض فيديو لقرار أحد حكام الخطوط، تبعه تصفيق إيقاعي أثناء عرضه على الشاشة الكبيرة. تم تركيب أكثر من 450 كاميرا هذا العام في ويمبلدون وفي التصفيات في روهامبتون القريبة، حيث تتخذ الآلات القرارات التي كان يتخذها بشر سابقا.

لكن سيتم توظيف حوالي 80 حكما سابقا كمساعدين في المباريات، بواقع اثنين في كل ملعب لتقديم الدعم للحكم الأساسي، بالإضافة إلى توفير الدعم في حال تعطل النظام الإلكتروني. فهل يُفقد استبعاد حكام الخطوط بعضا من سحر ويمبلدون؟ يرى بيكر عكس ذلك "أعتقد أن هذه خطوة إيجابية هائلة لنا من حيث الشكل والمظهر الفعليين للملعب، وعلامة ويمبلدون التجارية المميزة، وهي ملاعب عشبية خضراء، ولاعبون يرتدون ملابس تنس بيضاء، إنها علامة مميزة على الفور." يضيف "لذا، كلما زاد التركيز على ذلك، كان ذلك أفضل. ولكن أيضا، إذا عدنا إلى طبيعة الرياضة نفسها، فهي مواجهة فردية، ويجب التركيز على كل ما يحدث في الملعب."

يستهل الإسباني كارلوس ألكاراز المصنف ثانيا عالميا حملة الدفاع عن لقبه في بطولة ويمبلدون، ثالثة البطولات الأربع الكبرى في كرة المضرب، بمواجهة الإيطالي المخضرم فابيو فونييني الـ130 عالميا بموجب قرعة سحبت الجمعة قد تسفر عن قمة في ربع نهائي السيدات بين الأميركية كوكو غوف الفائزة بروان غاروس مطلع الشهر الحالي والبولندية إيغا شفيونتيك. يصل ألكاراز الذي تغلب على الصربي نوفاك ديوكوفيتش في المباراة النهائية للنسختين الأخيرتين، إلى نادي عموم إنجلترا محققا أفضل سلسلة انتصارات في مسيرته، وهي 18 مباراة متتالية.

قمة محتملة

يسعى ألكاراز إلى أن يصبح خامس لاعب فقط يفوز بثلاثة ألقاب متتالية على الأقل في ويمبلدون في العصر المفتوح، بعد السويدي بيورن بورغ، والأميركي بيت سامبراس، والسويسري روجيه فيدرر وديوكوفيتش. يملك اللاعب الإسباني البالغ من العمر 22 عاما، سجلا خاليا من الهزائم في مواجهتين مباشرتين حتى الآن ضد فونيني (38 عاما).

ويبدأ الصربي نوفاك ديوكوفيتش السادس عالميا والفائز ببطولة ويمبلدون سبع مرات، سعيه نحو لقبه الخامس والعشرين القياسي في البطولات الأربع الكبرى ضد الفرنسي ألكسندر مولر الـ40 عالميا، بينما يلتقي الإيطالي يانيك سينر، الأول عالميا، مع مواطنه لوكا ناردي الـ94.

وفي حال فرض المنطق نفسه سيلتقي سينر وديوكوفيتش في نصف النهائي، علما أن الصربي الذي بلغ المباراة النهائية للبطولة منذ عام 2018، قد يواجه المصنف أول في بريطانيا جاك درايبر الرابع عالميا في ربع النهائي. في المقابل، يلعب الأميركي تايلور فريتس الخامس مع الفرنسي الآخر جيوفاني مبيتشي بيريكار السادس والثلاثين الذي وصل إلى ثمن النهائي العام الماضي. وأوقعت القرعة الألماني ألكسندر زفيريف الثالث عالميا والأقل تألقا على الملاعب العشبية، في مواجهة لاعب فرنسي آخر هو أرتور ريندركنيش الـ70.

ويلعب الكازاخستاني ألكسندر بوبليك البالغ من العمر 30 عاما والمتوج مؤخرا بلقب دورة هاله الألمانية بعدما أطاح بسينر من الدور الثاني، ضد الإسباني جاومي مونار الـ54 في الدور الأول، قبل مواجهة محتملة ضد درايبر الرابع في الدور الثالث. ويبدأ درايبر مشواره بمواجهة الأرجنتيني سيباستيان بايس.

منافسة مفتوحة

تبدو المنافسة على لقب فئة السيدات في بطولة ويمبلدون، ثالثة البطولات الأربع الكبرى، مفتوحة على مصراعيها، مع احتمال فوز لاعبة بأوّل ألقابها، للمرة الثامنة تواليا في نادي عموم إنجلترا. منذ فوز الأميركية سيرينا وليامز بكأس فينوس روزووتر للمرة السابعة في عام 2016، تبحث البطولة عن نجمة جديدة مهيمنة، وقد تكون مواطنتها كوكو غوف على أهبة الاستعداد لاستلام زمام الأمور.

تعاني حاملة اللقب التشيكية باربورا كرايتشيكوفا من إصابة في الفخذ، بينما تسعى البيلاروسية أرينا سابالينكا، المصنفة أولى عالميا، إلى كسر عادتها الأخيرة المتمثلة في خسارة المباريات النهائية للبطولات الأربع الكبرى، بعدما سقطت في أستراليا المفتوحة وفرنسا المفتوحة هذا العام.

بعد ست سنوات من كونها أصغر لاعبة في عصر البطولات المفتوحة تتأهل إلى القرعة الرئيسية في ويمبلدون، قد تكون كوكو غوف على أهبة الاستعداد للفوز بالبطولة لأول مرة. كانت غوف في الخامسة عشرة من عمرها فقط عندما أسرت قلوب الجماهير في لندن، حيث جمعت بين اختبارات المدرسة في المساء ووصولها المذهل إلى ثمن النهائي والذي تضمن فوزا على إحدى لاعباتها المفضلات مواطنتها فينوس وليامز. الآن، نضجت الأميركية المصنفة الثانية عالميا وأصبحت قوة مؤثرة، وتصل إلى ويمبلدون في قمة عطائها بعد فوزها ببطولة فرنسا المفتوحة، ثانية الغراند سلام مطلع الشهر الحالي.

خاضت غوف ثلاث مباريات نهائية في الغراند سلام، حيث فازت ببطولة أميركا المفتوحة على ملاعب فلاشينغ ميدوز في عام 2023، وانتزعت لقبها على الملاعب الترابية في رولان غاروس هذا العام بعدما خسرت نهائي نسخة 2022.

تعتبر بطولة ويمبلدون، حيث لم تتجاوز الدور الرابع قط، أقل بطولات غوف الكبرى نجاحا، بينما لم يفز أي لاعب أميركي هنا منذ سيرينا وليامز قبل تسع سنوات. لكن اللاعبة البالغة من العمر 21 عاما تتمتع بمؤهلات عالية على الملاعب العشبية، وفقا لمواطنتها التشيكية الأصل النجمة السابقة مارتينا نافراتيلوفا، الفائزة باللقب تسع مرات. وقالت نافراتيلوفا "اللاعبات العظيمات يتألقن دائما على الملاعب العشبية. إنها أفضل رياضية في رياضة السيدات. قد يُؤتي ذلك ثماره هنا، وهي تحلق عاليا بعد فوزها ببطولة فرنسا المفتوحة." وأضافت "لقد وجدت التوازن المثالي، التوازن بين التركيز والحماس."

جاهزية تامة

> **ألكاراز يسعى إلى أن يصبح خامس لاعب فقط يفوز بثلاثة ألقاب متتالية على الأقل في ويمبلدون في العصر المفتوح**

تضع سابالينكا نصب عينيها لقبها الرابع في البطولات الأربع الكبرى، حيث تسعى إلى محو ذكريات خسارتيها المؤلمتين الأخيرتين في عام 2025. خسرت اللاعبة البيلاروسية البالغة من العمر 27 عاما أمام الأميركية ماديسون كيز في نهائي بطولة أستراليا المفتوحة في يناير الماضي، قبل أن تخسر بصعوبة مباراة أخرى من ثلاث مجموعات أمام غوف في نهائي رولان غاروس مطلع الشهر الحالي.

موضع شك

كما خسرت سابالينكا نهائي دورة شتوتغارت أمام اللاتفية يلينا أوستابينكو في أبريل، ومباراة لقب دورة إندين ويلز الأميركية أمام الروسية الصاعدة ميرا أندريفيفا في الشهر الذي سبقه. فازت سابالينكا بلقبي دورتي ميامي الأميركية ومدريد، لكن تعثرها المعتاد على أبواب الألقاب قد يؤثر عليها في ويمبلدون.

ومع ذلك، تثق نافراتيلوفا في قدرة سابالينكا، الفائزة ببطولتي أستراليا المفتوحة وأميركا المفتوحة العام الماضي، على تحمل الضغط في بطولة خسرت فيها مرتين في نصف النهائي (2021 و2023). وقالت "بالنظر إلى سجلها، يصعب تصديق أنها ليست المرشحة الأوفر حظا هذا العام. أتساءل إن كانت خسارة نهائي بطولة فرنسا المفتوحة ستحفزها حقا."

إثبات الذات

حضور متميز

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

لعنة الإصابة تحرم الدوسري من اللعب مع الهلال السعودي لشهر على الأقل

مواجهة مرتقبة مع مانشستر سيتي في ثمن نهائي كأس العالم للأندية

سيكون النجم السعودي سالم الدوسري أبرز المتغيبين عن مباراة فريقه الهلال ومانشستر سيتي الإنجليزي لحساب الدور السادس عشر من مسابقة كأس العالم للأندية التي تحتضنها الولايات المتحدة، وسط ترقب عربي لتألق الفريق السعودي وإحداث المفاجئة أمام العملاق الإنجليزي.

فيلادلفيا (الولايات المتحدة) - أكّد الهلال السعودي إصابة مهاجمه الدولي سالم الدوسري "في العضلة الخلفية" وغيابه عن الملاعب من "أربعة إلى ستة أسابيع،" وبالتالي عدم مشاركته في مواجهة مانشستر سيتي الإنجليزي غدا الاثنين في الدور ثمن النهائي من مسابقة كأس العالم للأندية بكرة القدم في أورلاندو.

ولم يشارك الدوسري (33 عاما) الذي سجل هدف التقدم على باتشوكا المكسيكي وفوز فريقه 2 – 0 ضمن الجولة الثالثة من دور المجموعات، وحصل على جائزة أفضل لاعب في المباراة، في الحصة التمرينية مع زملائه الجمعة، مكتفيا بمراقبتها.

وقال النادي في بيان "أوضحت الفحوصات إصابة سالم الدوسري في العضلة الخلفية، حيث سيخضع لبرنامج علاجي وتأهيلي يمتد من أربعة إلى ستة أسابيع."

وكان الدوسري خرج من أرض الملعب في الدقيقة 76 من المباراة الأخيرة متأثرا بإصابة.

وعلّق المهاجم الدولي في المؤتمر الصحفي بعد المباراة الخميس قائلا "ليست هناك معلومات بعد. سنقوم بتصوير أشعة غدا (الجمعة) وسنعرف أكثر".

وتشكل الإصابة ضربة للهلال بقيادة مدربه الإيطالي سيموني إينزاغي، خاصة أن الدوسري هو أفضل هداف سعودي في الدوري المحلي خلال الموسم الماضي (15 هدفا)، وفي المركز التاسع ضمن الترتيب العام.

وأكد الهلال أيضا أن المهاجم الصربي ألكسندر ميتروفيتش الذي غاب بدوره عن التمارين "واصل برنامجه العلاجي والتأهيلي في صالة الإعداد البدني،" ومن المتوقع أن يستمر غيابه للمباراة الرابعة تواليا. وأشار النادي إلى أن مصعب الجوير لم يشارك في الحصة التمرينية "نظير شعوره بآلام في الركبة،" كما قال إن عبدالله الحمدان أصيب "في عضلة الساق الخلفية."

ولم يشارك ميتروفيتش (30 عاما) في المباريات الثلاث الأولى للهلال التي تعادل فيها مع ريال مدريد الإسباني 1 – 1 وسالزبورج النمساوي 0 – 0 قبل الفوز على باتشوكا المكسيكي 2 – 0 ضمن منافسات المجموعة الثامنة.

> **الإصابة تشكل ضربة للهلال بقيادة سيموني إينزاغي، خاصة أن سالم الدوسري هو أفضل هداف سعودي في الدوري**

وقالت صحيفة "الرياضية" المحلية إن ميتروفيتش يواصل تنفيذ برنامج تأهيله من إصابة عضلة الساق، مشيرة إلى أن فرص الاستعانة به أمام سيتي "ضئيلة للغاية."

وسجل ميتروفيتش 19 هدفا في 23 مباراة ضمن الدوري السعودي في الموسم الماضي، لكنه غاب عن الفريق منذ 11 يناير حتى 7 مارس حين عاد أمام الفيحاء وقدم تمريرة حاسمة.

وفي ظل غياب الصربي عن الفريق منذ التعاقد مع المدرب الإيطالي سيموني إينزاغي، يعتمد الأخير على المهاجم البرازيلي ماركوس ليوناردو الذي سجل الهدف الثاني أمام باتشوكا.

ويلعب الهلال الاثنين أمام سيتي متصدر المجموعة السابعة، على ملعب كامبينج وورلد ستاديوم في أورلاندو. وكتب الهلال التاريخ في كأس العالم للأندية 2025 بعد تأهله المستحق إلى دور الـ16 لمونديال الأندية بأميركا، في إنجاز سعودي وعربي وآسيوي.

وتأهل الهلال إلى دور الـ16 من كأس العالم للأندية بعد فوزه على باتشوكا المكسيكي بهدفين دون رد ليحل في وصافة المجموعة الثامنة ويضرب موعدا مع مانشستر سيتي الإنجليزي فجر الثلاثاء المقبل.

وجاء تأهل الهلال ليسجل أرقاما للتاريخ.. حيث أصبح أول فريق عربي يتأهل إلى دور الـ16 لكأس العالم للأندية بنظامها الجديد.

كما أصبح الهلال أول فريق آسيوي يتأهل إلى الأدوار الإقصائية للبطولة، إلى جانب أنه الفريق الوحيد من خارج أوروبا والأميركيتين الذي يتواجد في دور الـ16 لكأس العالم للأندية.

وأصبح سالم الدوسري "هداف العرب" التاريخي في كأس العالم للأندية برصيد 5 أهداف.

كما أن الهلال هو الفريق العربي والآسيوي الوحيد الذي لم يتذوق طعم الخسارة في دور المجموعات.

وبعد إسدال الستار على مرحلة المجموعات في بطولة كأس العالم للأندية لكرة القدم أمام أكثر من مليون مقعد فارغ، تنتقل المسابقة المقامة حاليا في الولايات المتحدة إلى مرحلة خروج المغلوب، التي قد تشبه قريبا إحدى نسخ دوري أبطال أوروبا.

وتأهلت تسعة فرق أوروبية إلى دور الـ16 بمونديال الأندية، إلى جانب أربعة فرق من البرازيل، وفريق واحد من كل من الولايات المتحدة والمكسيك والمملكة العربية السعودية.

وامتلأت حوالي 56.7 في المئة من سعة الملاعب في لقاءات دور المجموعات الـ48، حيث بلغ إجمالي عدد المتفرجين، الذين تم الإعلان عن حضورهم بشكل رسمي 1.67 مليون متفرج، من إجمالي 2.95 مليون تذكرة تم طرحها للبيع، ليبلغ متوسط الحضور الجماهيري للمباريات 34746 متفرجا للقاء الواحد في البطولة.

ولم تمتلئ سوى 44.9 في المئة من سعة ملعب (ميتلايف) في إيست روثرفورد بولاية نيوجيرسي، الذي يستضيف نهائي كأس العالم العام المقبل، و50 في المئة من سعة ملعب (روز بول) في باسادينا بولاية كاليفورنيا، الذي شهد نهائي مونديال عام 1994.

ومن بين الملاعب التي سوف تحتضن مباريات كأس العالم العام المقبل، امتلأت 81.8 في المئة من سعة ملعب (ميامي جاردنز) بولاية فلوريدا، و61.6 في المئة في فيلادلفيا، و52 في المئة في سياتل، و44.3 في المئة في أتلانتا.

ولم يستجب برايان سوانسون، المتحدث باسم الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، لطلب رئيسه جياني إنفانتينو لمناقشة البطولة والحضور الجماهيري.

وأصدر فيفا بيانا جاء فيه "إن إقبال الجماهير على حضور البطولة يدل على ذلك: فقد اشترى مشجعون من 168 دولة تذاكرهم بالفعل لمشاهدة المباريات. في إشارة واضحة إلى الترقب العالمي والانتشار الواسع."

وربما تصل 7 أندية أوروبية لدور الثمانية في البطولة، حيث افتتحت مباريات دور الـ16 في وقت لاحق من مساء السبت بمواجهة برازيلية خالصة بين بالميراس وبوتافوجو، ومباراة أخرى بين ناديين من القارة العجوز هما تشيلسي الإنجليزي وبنفيكا البرتغالي.

ويشهد اليوم الأحد مواجهة مرتقبة بين إنتر ميامي الأميركي، بقيادة الساحر الأرجنتيني ليونيل ميسي وباريس سان جيرمان الفرنسي، حامل لقب دوري أبطال أوروبا، ثم تعقبها مباراة بايرن ميونخ الألماني وفلامنغو البرازيلي.

قائد مثالي

مرور ميسي بباريس سان جيرمان لم يكن على قدر التوقعات أوروبيا

واشنطن - ذكر الموقع الرسمي للاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) أن يوم وصول الأرجنتيني ليونال ميسي إلى باريس سان جيرمان، في العاشر من أغسطس عام 2021، سيظل محفورا في ذاكرة الكثير من الفرنسيين، فقد أشعل خبر وصوله ضجة إعلامية غير مسبوقة، حيث كان الصحافيون والمراسلون في مطار لو بورجيه وبارك دي برانس يكادون لا يصدقون ما يسمعونه: الأسطورة ليونيل ميسي سيجلب مواهبه الكبيرة إلى الشواطئ الفرنسية.

لكن فترته مع باريس سان جيرمان لم تسفر عن أيّ لقب أوروبي، إلا أن ميسي أمتع الباريسيين بلحظات من السحر على أرض الملعب من لمسات ومراوغات وتألق باهر، وقال الأرجنتيني بعد أسابيع قليلة من رحيله عن العاصمة الفرنسية "من الناحية الرياضية، لم تسر الأمور كما كنت أتمنى، لكن لديّ الكثير من الذكريات الجميلة."

وفي الساعات التي سبقت وصوله من برشلونة، المكان الذي صنع فيه أسطورته، كان الجميع في الدوري الفرنسي يتحدث عن ميسي، بما في ذلك نيكو كوفاتش، المدير الفني الحالي لبوروسيا دورتموند، وأحد الفرق المتأهله لدور الـ16 ببطولة كأس العالم للأندية، وكان وقتها يدرب موناكو. وقال في مؤتمر صحفي "ميسي هو أفضل لاعب في العالم. إذا حدث ووقّع لباريس، فسيكون أمرا رائعا لسمعة دورينا، لكنه سيكون خبرا سيئا لمنافسي باريس سان جيرمان، لكنني أحب رؤيته يلعب، لذلك سيكون أمرا رائعا إذا جاء، وأعتقد أن الجميع في فرنسا سيكونون سعداء لرؤيته هنا."

> **وصول الأرجنتيني ليونال ميسي، أسطورة كرة القدم الذي لا يزال يبدع، أحدث صدمة في مدينة باريس وخارجها**

ولطالما اعتبر الدوري الفرنسي من أكثر الدوريات تطورا فنيا في كرة القدم، وقد شكل أرضا خصبة لظهور نجم المستقبل، من ريموند كوبا وميشيل بلاتيني إلى رونالدينيو وزين الدين زيدان وتيري هنري، ومع ذلك، وحتى وقت قريب، لم يشهد الدوري الفرنسي أيّ نجم عالمي في قمة مجده.

وأبهر دييغو مارادونا الجماهير في إسبانيا وإيطاليا، لكنه لم يطأ بقدمه أرض الدوري الفرنسي، وكذلك الحال بالنسبة إلى يوهان كرويف الذي أبهر الجميع في هولندا وإسبانيا، لكنه لم يمر على فرنسا، وأيضا نجوم كبيرة مثل كريستيانو رونالدو وماركو فان باستن، وعدد لا يحصى من عظماء اللعبة.

وأحدث وصول ميسي، أسطورة كرة القدم الذي لا يزال يبدع على أعلى مستوى، صدمة في باريس وخارجها، مطلقا موجة من الإثارة قلما شهدها تاريخ كرة القدم الفرنسية، وقال النجم الأرجنتيني عند وصوله، بعد ساعات قليلة من استقباله في أجواء حماسية تليق به "أود أن أشكر الباريسيين. لقد كان الأمر جنونيا بعض الشيء منذ وصولي، وكان ذلك أفضل ما في الأمر."

وعلى الرغم من وصوله إلى النادي وهو مصاب، إلا أنه تألق في الدوري الفرنسي منذ دخوله لأول مرة الملعب، وافتتح ميسي سجله التهديفي مع باريس سان جيرمان بهدف رائع في مرمى مانشستر سيتي في دوري أبطال أوروبا باللقاء الذي انتهى بفوز الفريق الباريسي بهدفين نظيفين.

وأكمل النجم الأرجنتيني خط هجوم باريس سان جيرمان إلى جانب نيمار وكيليان مبابي، وتحول إلى صانع ألعاب بدلا من هداف، حيث تعاون الثلاثي لتفكيك دفاعات المنافسين، واستعاد باريس سان جيرمان لقب الدوري الفرنسي، بعد أن تفوق عليه ليل في موسم 2020 – 2021، وأضاف ميسي لقبين في الدوري الفرنسي إلى سجله الحافل.

وسجل ميسي 32 هدفا وصنع 34 تمريرة حاسمة في 75 مباراة مع باريس سان جيرمان، وأبرز لحظاته التي لا تنسى فوزه الساحق على كليرمون فوت بخماسية نظيفة، بعد أن سجل هدفا من مقصية رائعة مرت فوق حارس المرمى، ونال النجم الأرجنتيني تصفيقا حارا من جماهير الفريق المضيف، وكان هذا النجاح المبكر في موسم 2022 – 2023 بمثابة نقطة انطلاق لتحقيق أعظم انتصار في مسيرة ميسي الحافلة، وهو التتويج ببطولة كأس العالم (قطر 2022).

يترك بصمته أينما حلّ

يورغن كلوب: كان بإمكاني تدريب ألمانيا قبل اليورو

برلين - كشف يورغن كلوب أنه كان من الممكن أن يوافق على تدريب المنتخب الألماني لكرة القدم قبل منافسات يورو 2024 ولكنه قرر البقاء في ليفربول الإنجليزي.

وقال كلوب لصحيفة "فيلت آم سونتاج"، "موسم 2022 – 2023 لم يسر بشكل جيد لليفربول، وفي صيف هذا الموسم، المنتخب الألماني كان يبحث عن مدرب. كان بإمكاني أن أوافق، لأنه ربما كان من الأفضل القيام بشيء مختلف."

وأضاف "لم أكن أرغب في هذا. والقرار لم يتعلق بوظيفة مدرب المنتخب الوطني بحد ذاتها. لم أستطع مغادرة ليفربول بهذه الطريقة. كان هناك فريق، وكان هناك أشخاص تربطني بهم علاقة."

وأراد كلوب أن "يصلح" الأمور في ليفربول من خلال التعاقد مع لاعبين جدد والحفاظ على الفريق الأساسي.

وقال "كان هذا مهما بالنسبة إليّ. ونجحنا في هذا. ومع ذلك، تم اتخاذ قرار الرحيل عن ليفربول."

> **في يناير 2024، أعلن يورغن كلوب رحيله عن ليفربول بنهاية الموسم، الذي أنهاه الفريق في المركز الثالث**

وفي يناير 2024، أعلن كلوب رحيله عن النادي بنهاية الموسم، الذي أنهاه ليفربول في المركز الثالث. عقب رحيله، تعاقد ليفربول مع الهولندي أرني سلوت، كمدير فني جديد، وفاز بلقب الدوري الألماني.

منذ يناير الماضي، يعمل كلوب رئيسا لكرة القدم في ريد بول، وحاليا لا يفكر في الحصول على وظيفة تدريبية أخرى في المستقبل. وقال "قلبي يقول لي: لا. كنت أحب عملي، لكنني لا أفتقده."

وأصبح كلوب مسؤولا عن الإشراف على شبكة كرة القدم الخاصة بريد بول، بما في ذلك لايبزغ، الذي أعلن مؤخرا تولي أولي فيرنر تدريبه. ونفى كلوب الشائعات التي تفيد بأن فيرنر لم يكن بالضرورة الخيار المفضل للنادي.

وأفاد "عندما انتهى عقده بشكل غير متوقع مع فريق فيردر بريمن، اتفقنا داخليا بسرعة على أنه مرشحنا. لقد قدم أداء يفوق التوقعات في الأندية التي دربها سابقا."

العرب
الأحد 2025/06/29
السنة 48 العدد 13529

قرية القشع.. سيدة المواسم السياحية في سلطنة عمان

تعد قرية القشع بالجبل الأخضر في سلطنة عمان وجهة سياحية فريدة لسياحة المغامرات، بفضل تضاريسها الجبلية ومدرجاتها الزراعية وكهوفها الأثرية. وتشتهر بالورد والرمان وشلالاتها ومسارات المشي، وتزخر بتاريخ عريق وموروث ثقافي غني.

لعشاق الهايكنغ والكهوف

الجبل الأخضر (سلطنة عمان) - تعد قرية القشع بولاية الجبل الأخضر بمحافظة الداخلية وجهة مثيرة لسياحة المغامرات لما تتمتع به من تضاريس وجيولوجيا استثنائية ذات مناخ معتدل صيفًا وبارد شتاءً .

وتقع قرية القشع عند السفح الشرقي لأحد الجبال الشاهقة عند نهاية أحد أطول المدرجات الجبلية من جهتها الغربية، أما شمالها فتطل عليها قرية العين، بينما تحدها من الجنوب قرية سلوت ومصيرة الرواجح.

وتتفرد القرية بمدرجاتها الزراعية التي تضم العديد من أشجار الفاكهة كغيرها من قرى الولاية كأشجار الرمان والجوز والخوخ والمشمش، إضافة إلى المحاصيل الزراعية الموسمية كالثوم والبصل وغيرها.

ووضح وليد بن سيف الزكواني عضو المجلس البلدي في ولاية الجبل الأخضر وأحد الأهالي في القرية لوكالة الأنباء العُمانية أن سبب تسمية القرية بالقشع يرجع إلى انحدار الصخور نحوها من مختلف الاتجاهات، ومن معانيها اللغوية أيضًا انقشاع الغيوم بعد أن تغطي كبد السماء، وهو وصف مجازي يليق بعلاقتها الساحرة بالطبيعة.

وذكر الزكواني أن القرية تشتهر بالكثير من الشواهد والأدلة الأثرية التي تعود إلى بدايات الاستيطان البشري الأول في الجبل الأخضر، حيث تنتشر المقابر القديمة بعدة أشكال واتجاهات غير معتادة، مختلفة عن النمط الإسلامي، ما يُشير إلى أزمنة ما قبل الإسلام، وربما إلى العصر الحجري القديم، وتحجّر بعض المدرجات الزراعية بفعل العوامل الجيولوجية والطقس ما يدل على قدمها. كما توجد آثار كهوف سكنية تتضمن مواقد للنار وآثارًا للدخان، ما يعزز فرضية استخدامها البشري، كما لا تزال هناك مبانٍ حجرية قديمة فيها وهي في حاجة إلى دراسات أثرية معمقة من قبل الجهات الحكومية المعنية.

وبيّن ارتباط نشأة قرية القشع بالعمق التاريخي والموروث التراثي المتنوع، حيث تضم شواهد تاريخية وعددًا من المساجد منها مسجد البلاد ومسجد الوادي ومسجد الجفرة ومسجد الحجرين، إلى جانب عدد من الأفلاج والعيون المائية والتي تروى بها المزروعات كفلج لعور وفلج الغوج وفلج أزل وفلج الحرف، وعين السمنة وعين السويب وعين شاذان وغيرها.

وأشار عضو المجلس البلدي في ولاية الجبل الأخضر إلى أن حصاد الورد والرمان ومختلف أصناف الفاكهة يتم خلال فصل الصيف ما يجعل الولاية وجهة سياحية للكثير من السياح والزوار، حيث إن هذه المواسم تُضفي على قرية القشع تنوع المنتج السياحي، ويتعرف الزائر عن قرب على آلية تصنيع ماء الورد بشقيه التقليدي والحديث.

مؤكدًا على أن زراعة الورد والرمان في القرية تعد ذات جدوى اقتصادية ولها أهمية كبيرة كونها أحد مصادر الدخل للمزارعين.

وقال حمد بن صبيح الزكواني أحد أهالي قرية القشع لوكالة الأنباء العُمانية إن القرية تحوّلت في السنوات الأخيرة إلى مزار سياحي بارز حيث يتوافد إليها محبو الطبيعة، خصوصًا في فصل الصيف، لما تتميز به من شلالات ساحرة مثل شلال وادي العين، وشلال شرجة العنبور، وشلال كور أزك، إضافة إلى التنوّع الجيولوجي في تكوينات الصخور (متحولة، رسوبية، ونارية)، وكهوف ومغارات فريدة مثل كهف لمبرد، بالإضافة إلى النمو النادر لأشجار استوائية تُعرف محليًا بـ"السوجر" والتي تنبت على طول وادي العين، وهي ميزة تنفرد بها قرية القشع عن سائر قرى الجبل.

وأكد الزكواني أنه توجد في القرية طرق مهيأة لرياضة المشي الجبلي (الهايكنغ)، والتي تمر عبر عدد من الشعاب والأودية والمدرجات الزراعية في مناخ متوسطي معتدل، مشيرًا إلى أنه من أبرز هذه المسارات: طريق اللمد وطريق الساب وطريق مسلك المغارات والتي تربط القرية بعدد من القرى المجاورة وكانت تستخدم في تنقل الأهالي قديمًا.

وقال إن مواسم حصاد الفاكهة في ولاية الجبل الأخضر بشكل عام وقرية القشع بشكل خاص تسهم في جذب السياح والزوار للتعرف من خلالها على المقومات السياحية من خلال سياحة المغامرات والسياحة الطبيعية والتراثية وغيرها.

برادا تسطو على تصميم صندل «كولهابوري» الهندي

ميلانو (إيطاليا) - اعترفت دار الأزياء الفاخرة برادا بالجذور الهندية لتصميم صندلها الجديد بعد أن أثار عرض الحذاء المفتوح من الأمام للمرة الأولى ضجة بين الحرفيين والسياسيين الهنود على بعد آلاف الأميال من ممشى عرض الأزياء في إيطاليا.

وأظهرت صور من عرض أزياء برادا في ميلانو الأسبوع الماضي عارضات يرتدين صنادل جلدية بتصميم متشابك على شكل ضفائر يشبه نعال كولهابوري المصنوعة يدويا التي تعود تصميماتها إلى القرن الثاني عشر.

وأعقبت ذلك موجة من الانتقادات في وسائل الإعلام ومن نواب هنود بسبب عدم اعتراف العلامة التجارية الإيطالية علنا باستيحاء التصميم من الصندل الهندي الذي يحمل اسم مدينة في ولاية ماهاراشترا غرب الهند.

ورد لورينزو بيرتيلي، الذي يمتلك والداه دار برادا، على فضيحة الصندل في رسالة إلى غرفة تجارة هندية الجمعة معترفا بأن التصميم مستوحى من التراث الهندي.

وكتب بيرتيلي رئيس المسؤولية الاجتماعية للشركة في برادا، في الرسالة الموجهة إلى غرفة التجارة في ماهاراشترا، والتي اطلعت عليها رويترز "نعترف بأن الصنادل.. مستوحاة من الأحذية الهندية التقليدية المصنوعة يدويا، والتي يعود تاريخها إلى قرون مضت". وكتب أن الصندل لا يزال في مرحلة مبكرة من التصميم وليس من المؤكد تسويقه، لكن برادا منفتحة على "حوار لتبادل هادف مع الحرفيين الهنود المحليين" وستقوم بترتيب اجتماعات متابعة.

ومعظم الهنود غير قادرين ماديا على شراء منتجات برادا إذ تبلغ أسعار صنادلها الجلدية للرجال 844 دولارا فأكثر، بينما يبدأ سعر نعل كولهابوري المتاح للبيع في المتاجر والأسواق الشعبية الهندية من 12 دولارا تقريبا.

درة تثير الجدل في فيلم «الست لما»

القاهرة - أثارت الفنانة التونسية درة زروق موجة من الجدل على مواقع التواصل الاجتماعي بعد ظهورها مرتدية الحجاب في الصور الأولى من فيلمها الجديد "الست لما"، الذي يجمع نخبة من نجوم الشاشة العربية.

ما بين مؤيد ومعارض، تصدّرت درة عناوين النقاش العام، خاصة بعد أن رافق الحجاب ما اعتبره البعض "مكياجاً كاملاً"، وهو ما رأى فيه المنتقدون تناقضًا أو "عدم واقعية" في تجسيد الشخصية المحجبة.

وجاء رد درة واضحا، حيث أكدت أن المظهر الذي ظهرت به في العمل يخدم رؤية المخرج وبنية الشخصية الدرامية، وليس انعكاسًا لموقف شخصي أو توجه ديني. وقالت في تصريح مقتضب لكنها حازمة "أنا بقدّم الشكل اللي لايق على الشخصية... مظهري في الفيلم جزء من عمل فني، وليس رسالة دينية أو اجتماعية بالضرورة".

وبعيدًا عن الهجوم الذي طالها، قدّمت درة رؤية مغايرة لمفهوم الحجاب ضمن السياق الدرامي، معتبرة أن الحجاب لا يعني بالضرورة التخلّي عن الأناقة أو الاهتمام بالمظهر، بل يمكن تصوير فتاة لمخبة في قمة أناقتها واحتشامها دون الوقوع في تناقض.

وأضافت "هناك فهم مغلوط بأن كل لمخبة يجب أن تبدو بشكل معين... في حين أن الواقع مليء بالنماذج المختلفة، وتابعت "الشخصية التي أؤديها في الفيلم حريصة على مظهرها وتهتم بنفسها ضمن حدود ما تراه مناسبًا، وهذا لا يقلل من احترامها للحجاب أو من جوهر شخصيتها".

فيلم "الست لما" من إخراج خالد أبوغريب، وتدور أحداثه حول مجموعة من النساء اللاتي يواجهن تحديات متعددة، في مجتمع لا يرحم التغيير، ولا يسامح الاختلاف بسهولة.

منطاد الإمارات يحلق في سماء روسيا

موسكو - يشارك فريق منطاد الإمارات في النسخة الثالثة من مهرجان الأخوة الروسي الدولي للطيران بالمناطيد، الذي انطلق من مدينة "نجني نوفغورود" الروسية ويستمر حتى 1 يوليو، وسط مشاركة دولية واسعة تضم فرقا من بلغاريا، وسلوفاكيا، وبيلاروسيا، وأرمينيا، إلى جانب عدد من الفرق الروسية.

وأكد الكابتن طيار عبدالعزيز ناصر المنصوري، رئيس منطاد الإمارات، أن مشاركة الفريق تتجاوز الجانب الرياضي لتمثل مهمة للتعريف بالثقافة الإماراتية، وإبراز عمق العلاقات بين البلدين الصديقين، مشيرا إلى أن الفريق قدم عروضا جوية حرة بحضور مسؤولين ووسائل إعلام روسية.

وأشاد المنصوري بالاهتمام الذي حظيت به المشاركة من القيادة الروسية، مثنياً على التفاعل الجماهيري الواسع من الشعب الروسي مع الفعاليات، والعروض الليلية التي يقدمها الفريق على مدى أيام المهرجان .

وأوضح أن هذه المشاركة في روسيا تأتي ضمن الجولة الدولية الثانية للفريق، والتي انطلقت من مدينة بريستول البريطانية، لنشر الثقافة العربية والإسلامية في مختلف دول العالم.

وقال جورج زيمنكو رئيس اللجنة المنظمة للمهرجان إن المشاركة الإماراتية في المهرجان تعد الأولى على المستوى العربي، لافتا إلى أن المهرجان الروسي للمناطيد هو الأكبر من حيث عدد المشاركين من الدول حيث تحلق المناطيد في وسط المدينة التي تشتهر بالإرث الروسي العريق والمرتبطة تاريخيا بالإرث العربي.

صباح العرب

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

الضحك يوحدنا

في الأول من يوليو 2025 يحتفل عشاق البهجة والفرح والضحك والمرح باليوم العالمي للنكات الذي سيرفع هذا العام شعار «الضحك يوحدنا» في إشارة إلى ضرورة أن يلتقي البشر على هدف وهو أن يضحكوا ولو قليلا بغض النظر عن خلفياتهم أو ظروفهم، وأن يتجاوزوا فوارق اللون والعرق والجنس والدين واللغة، ويرتفعوا فوق حواجز العقائد والأيديولوجيات والخلافات السياسية والثقافية والظروف الاقتصادية والاجتماعية من أجل ضحكة صافية تكرّس ذلك المفهوم التقليدي العابر للأزمنة والأمكنة وهو أن «الإنسان حيوان ضاحك،» والذي تم اقتباسه من مقولة ويليام هازليت (1778 – 1830) الشاعر والرسام والمؤرخ والناقد، الذي وصفه البعض بأنه رجل عصر النهضة، حين اعتبر أن "الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك ويبكي لأنه الحيوان الوحيد الذي يتأثر بالفرق بين ما هي عليه الأشياء وما ينبغي أن تكون عليه."

منظمو اليوم العالمي للضحك يقولون إن الضحكة الطيبة تذكرنا بإنسانيتنا المشتركة وبالأفراح البسيطة التي نعتز بها جميعا في عالم يعاني من الانقسام، ويهدفون من وراء شعار "الضحك يوحدنا" حث الجميع على إيجاد روح الدعابة في التفاصيل الصغيرة ونشر البهجة والإيجابية أينما كانوا.

تاريخ الضحك ليس بالضرورة تاريخ الإنسان ولكنه بالتأكيد تاريخ الحضارة. في أواخر القرن التاسع عشر اكتشف علماء الآثار في العراق لوحا طينيا قديما عمره 4000 عام، وعليه أول نكتة موثقة في العالم، وبترجمة تقريبية من اللغة السومرية القديمة تقول النكتة «كلب دخل حانة، لكنه لم ير شيئا داخلها ثم سأل نفسه: هل أفتح لي حانة؟» تم العثور على نكتة أخرى عمرها 3900 عام أشار من خلالها السومريون إلى زوجاتهم النكديات تقول «الشيء الذي لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية، هو أن تبادر امرأة بالجلوس على ركبة زوجها وتلف يدها حول عنقه دون أن يكون هذا الدلال منزها عن الأغراض."

أقدم نكتة في مصر القديمة تعود إلى العام 1600 قبل الميلاد، تم العثور عليها محفورة على المعابد القديمة وبالتحديد في عصر الملك سنفرو تقول «إذا أردت أن تسلّي الفرعون العظيم سنفرو وتخفف عنه همومه فعليك بدفع مركب في مياه النيل على متنها أجمل فتيات مصر، على أن تستبدل تلك الحسناوات ملابسهن بشباك للصيد، ثم تطلب من الفرعون الذهاب لصيد الأسماك في النيل دون شبكة صيد لينتقي الشباك التي تروق له."

قد لا تبدو تلك النكات مضحكة، ولكنها تمثل بدايات علاقة الإنسان بصناعة النكتة التي تطورت بمرور الوقت، وتحولت إلى فسحة ورياضة للقلب والروح وفرصة لمغادرة مربعات القلق والنكد والاكتئاب والضيق .

منذ 1994 وعشاق الضحك يحتفلون باليوم العالمي للنكتة الذي تأسس على يد الكوميدي والكاتب واين ريناجل، وذلك بهدف إضحاك الناس وترويح كتبه الخاصة. لا يوجد لليوم العالمي للنكتة صفة رسمية، ولكن المؤكد أننا أمام فرضيتين: إما أن ننظر إلى العالم من جانب الملهاة فنضحك أو أن نغوص في جانب المأساة فنبكي.. والضحك أفضل في كل الأحوال .